



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ..../ 2018

رقم التسجيل:-105086049

العلاقات العثمانية الألمانية
1878 – 1914 م

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ العالم المعاصر**

إعداد الطالبة:
مجناح قائمة

إشراف الدكتور:
تاحي إسماعيل

السنة الجامعية: 2017 / 2018

مقـــدمـــــة

مقـدمـة:

عــرف التــاريخ العـثماني فترات مهمة على الصعيد التاريخي لتطور علاقة الدول الأوربية بالدولة العثمـانية في جمـيع الميـادين، ففي الوقت الذي حققت فيه الدول الأوربية نجاحات كبيرة من تطورها السريع، كانت الدولة العثمانية تعيش في ظل أنظمة اقتصادية و اجتماعية و عسكرية متأخرة مقارنة بما حققته أوربا من تطور. ومع استمرار تدهور أوضاع الدولة العثمانية وضعف قوتها العسكرية تحفزت شعوب البلقان للقيام بثورات عديدة بغيـة التخلــص من سيطرة تلك الدولة التي عاشت مــرحلة صعبة من صراعها مع الــقوى الاستعمارية الكبرى المتنافســة فيما بينها من أجـل الاسـتحواذ على أكبر قدر مــمكن مــــن مـمتلـكات الــدولة العثـمانــية التــي دافعـت عن كيــانها المنهار رغبــة منـــها فـي المـحافظة على وجودها.

فـي ظـــل هــذه الـظروف وأمام هذه التحديات ظهرت ألمانيا كأول دولة قومية في أوربا و كقوة سياسية جديدة كــبرى مُنافِسة على الساحــة الدولية، وبينما كانت عمليات بناء هذه الأخيـــرة على قــدم وساق وجّهت أنظارها نحو الدولة العثمانيـــة وعملت على توطيـد العلاقات معها في مختلف المجالات السياسية و العسكرية و الاقتصادية باعتبار أن الدولة العثمانية ذات موقع استراتيجي مهم من جهة ، ومن جهة أخرى استغلت الفتور و العداء الأوربي العثماني خصوصا بعد مؤتمر برلين 1878م لكي يتسنى لها اتخاذ الدولة العثمانية كنقطة ارتكاز لتوسعها اللاحق في الشرق ومن هذا المنطلق يأتي موضوعنا الموسوم ب: العلاقات الألمانية العثمانية (1878-1914م) و الذي نرمي من خلاله تسليط الضوء على مختلف مظاهر تلك العلاقات خاصة وأن الدولة العثمانية كانت تمر بأصعب مراحل ضعفها والتآمر الدولي من أجل تقسيمها و القضاء عليها.

أسباب اختيـــار الموضوع:

دفعتنا جملة من العوامل العلمية والموضوعية ،و أخرى ذاتية لدراسة هذا الموضوع .

فالعلمية و الموضوعية تمثلت في:

- دراسة وفهم طبيعة العلاقات الألمانية–العثمانية وأسباب توطدها في تلك المرحلة التاريخية و معرفة حقيقة الدعم السياسي و العسكري و الاقتصادي الذي قدمته ألمانيا للدولة العثمانية و غايتها من هذا الدعم.
- التركيز على زيارات الإمبراطور الألماني غليوم الثاني للدولة العثمانية والغاية الحقيقية من هذه الزيارات وأهدافها.
- التركيز على مشاريع السكك الحديدية(سكة حديد برلين –بغداد)،(سكة حديد الحجاز) والوقوف على حقيقة إنشائها ودورها في المنطقة وتأثيره عليها.

أما الذاتية : فقد كان اختيارنا لهذا الموضوع وليد رغبة قوية لبحث العلاقات التي جمعت ألمانيا بالدولة العثمانية ، بالإضافة إلى الفضول العلمي في معرفة خبايا تلك العلاقات خاصة بعد التشجيع الذي تلقيناه من قبل المشرف.

حدود البحث:

ترتبط أهمية الفترة الزمنية لموضوع البحث (1878–1914م) بأهمية أحداثها حيث يمثل المعلم التاريخي الأول مؤتمر برلين وما حيك فيه من مؤامرات استعمارية لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وانتزاع مساحات شاسعة من أراضيها،ويمثل المعلم الثاني حدثا تاريخيا بارزا كان له تأثير واضح على العلاقات الدولية ألا وهو قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م التي وقفت فيها الدولة العثمانية بجانب ألمانيا.

الإشكـاليـة:

نظرا للأهمية التي يكتسبها موضوعنا الموسوم بـ : العلاقات الألمانية – العثمانية (1878-1914م) فإن دراسته تقتضي طرح الإشكالية المحورية المتمثلة في خلفيات ومبررات العلاقات الألمانية العثمانية وإلى أي مدى ساهمت الظروف الدولية و ظروف الدولة العثمانية في نسج هذه العلاقات؟ بمعنى آخر هل كانت العلاقات الألمانية – العثمانية مبنية على أسس الصداقة و المودة أم أنها كانت تحمل في طياتها غايات أخرى؟

و تندرج تحت الإشكالية الرئيسة تساؤلات فرعية أهمها:

- ما أهم مكاسب الإمبراطور الألماني من خلال زياراته إلى الدولة العثمانية؟
- إلى أي مـــدى ساهـم الألمـــان في تدريب الجيش العثماني و تكوينــــه؟
- ما هي الأهداف و النوايا الحقيقية من وراء إنشاء خطوط السكك الحديدية؟
- هل كانت الدول الأوربية الكبــرى راضية على مسألة التقارب الألماني-العثماني؟
- كيف كانت نهاية العلاقات الألمانية- العثمانية ؟ وما هي النتائج المحققة بالنسبة لكل طرف؟

مناهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع المراد دراسته إتباع المناهج العلمية المعروفة في حقل الدراسات التاريخية المتمثلة في:

1-**المنهج التاريخي الوصفي:** اعتمدنا على هذا المنهج عندما سلطنا الضوء على الأحداث التاريخية التي ميزت العلاقات الألمانية -العثمانية و أعطيناها وصفا تاريخيا بتتبع التسلسل التاريخي و الزمني للأحداث من خلال عرض المادة التي تم رصدها من المصادر و المراجع.

2-**المنهج التحليلي:** تم الاعتماد على هذا المنهج من أجل تفسير و تحليل النقاط المهمة للموضوع خاصة فيما تعلق بالمواقف الأوربية من التقارب الألماني العثماني في مختلف الميادين ، واستعماله كذلك في تحليل الأفكار الغزيرة للموضوع و هو ما سهل علينا دراسة و مناقشة مختلف الأحداث و الوقائع التاريخية وربطها ببعضها البعض و استنتاج ما يمكن استنتاجه.

خـطـة البحث:

تمت معالجة موضوع البحث وفق خطة اشتملت على مقدمة وفصل تمهيدي و ثلاث فصول وخاتمة وملاحق وهي كالتالي: تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع و طرح الإشكالية والإجراءات المنهجية المتعلقة بها، والفصل التمهيدي عالج الأوضاع في كلتا الدولتين من خلال دراسة أهم ظروف توحيد الإمبراطورية الألمانية و الدور الذي لعبه بسمارك لتحقيق تلك الغاية من جهة و استعراض أهم أوضاع الدولة العثمانية والأحداث التي عصفت بها على الصعيدين الداخلي و الخارجي من جهة أخرى، و حمل الفصل الأول عنوان العلاقات السياسية و العسكرية بين الدولتين وذلك بالتطرق إلى أسباب التقارب الألماني العثماني ومظاهره وحقيقة زيارات إمبراطور ألمانيا إلى الدولة العثمانية والدور الذي لعبه الألمان في تدريب الجيش العثماني، أما الفصل الثاني فقد عالج العلاقات الاقتصادية بين الدولتين من حيث دراسة مشاريع السكك الحديدية المتمثلة في مشروع سكة حديد برلين- بغداد و سكة حديد الحجاز، ورصدنا في الفصل الثالث و الأخير المواقف الدولية من التقارب الألماني العثماني و نتائجه حيث تضمن موقف كل من بريطانيا و فرنسا وروسيا من هذه العلاقات و المكاسب التي حققها كل طرف من الآخر، أما الخاتمة فقد تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أهم المصادر و المراجع:

اعتمدنا في إنجاز البحث على جملة من المصادر و المراجع التي أغنت الموضوع بالكثير من المعلومات و الآراء و الأفكار المهمة ومن جملة المصادر نذكر على سبيل الذكر لا الحصر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني المعنونة بـ : مذكراتي السياسية 1891- 1909 م، التي اعتمد البحث عليها في كثير من الفقرات بغية توثيق المعلومة و أخذ الشهادة التاريخية من صاحب العلاقة بالإضافة إلى مذكرات غليوم الثاني التي تضمنت معلومات هامة خاصة فيما تعلق بتفاصيل زيارة الإمبراطور إلى الدولة العثمانية.أما المراجع فتمثلت في كتاب ألمانيا و الإسلام لعبد الرؤوف سنو الذي يعد من المراجع المهمة التي درست تاريخ وطبيعة العلاقات الألمانية و العثمانية و تفاصيلها، وكتاب السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته لسليمان قوجة باش والذي سلط الضوء على دوافع التقارب الألماني العثماني وموقف الدول الأوربية منه. كما اعتمد البحث على مجموعة من المقالات و البحوث المنشورة في مختلف المجلات العربية مثل مجلة حراء و مجلة المؤرخ العربي.

صعـوبات البحث:

وكأي عمل واجهتنا عقبات كثيرة أثناء عملية البحث جعلتنا في كثير من الأحيان نعتقد أنه يستحيل إتمام هذه الرسالة كصعوبة الوصول إلى دراسة كافية و شافية للموضوع وصعوبة الحصول على بعض المعلومات خاصة فيما تعلق بالمكاسب التي حققتها الدولة العثمانية من علاقتها بألمانيا.

وفي الأخير وليس آخرا أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الأستاذ تاحي إسماعيل الذي كان رافعا للمعنويات و مشجعا في لحظات اليأس و الإحباط ،دون أن ننسى الأساتذة الذين ساعدونا سواء من داخل الوطن أو خارجه و كل زميلات و زملاء الدراسة.

الفصل التمهيدي : الأوضـــاع في الــدولتــيــن قبــل 1878 م

المبحث الأول : الأوضاع في ألمانيا

المبحث الثاني: الأوضاع في الدولة العثمانية

الفصل التمهيدي: الأوضاع في الدولتين قبل 1878 م

المبحث الأول: الأوضاع في ألمانيا

يعتبر تحقيق ألمانيا لوحدتها من أهم الأحداث التي شهدها التاريخ الأوربي والعالمي الحديث، ولم تكن ألمانيا تعني وحدة سياسية معينة بل كانت مقسمة إلى حوالي 400[1]إمارة هذه الأخيرة التي ستتوحد فيما بعد لتعرف بالرايخ[2] الألماني أو الإمبراطورية الألمانية التي أصبحت مع مرور الوقت في مصاف الدول الأوربية العظمى المُتَنَافِسة فيما بينها خاصة في مجال السياسة الاستعمارية التوسعية وقد صاحب التطور الاقتصادي لألمانيا تطور سياسي ملحوظ بخصوص علاقتها بالدولة العثمانية، و قبل الحديث عن تلك العلاقة لابد من تسليط الضوء عن ظروف استكمال ألمانيا لوحدتها و الدور الذي لعبه بسمارك من أجل تحقيقها [3]

أولا:الطريق إلى الوحدة الألمانية :

إن حلم تحقيق الوحدة الألمانية بدا مع التطور و الظهور لدى الشعب الألماني خاصة بعد مؤتمر فيينا 1815 الذي اقر منح زعامة الولايات الألمانية لبروسيا التي أصبح لها الحق في الدفاع عنها وإبعاد سيطرة النمسا عليها لتكون أول خطوة لتحقيق الوحدة الألمانية[4]، أما الخطوة الثانية فتمثلت في إقامة وحدة اقتصادية بين الولايات الألمانية و بروسيا و كخطوة أخرى تم تشكيل مجلس وطني الذي اقر تشكيل حكومة و تشكيل جيش وقوة بحرية ألمانية.

---

[1] عمر عبد العزيز عمر،تاريخ أوربا الحديث و المعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 2000، ص159.

[2] الرايخ: (Reich)كلمة ألمانية تعني في الأصل الدولة بغض النظر عن نوع الحكم فيها،ثم أصبحت تعني معنى أوسع هو الإمبراطورية ... ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج2، دار الهدى للنشر و التوزيع، بيروت، [د:ت]، ص803.

[3] خالد نمال الدليمي ، " بسمارك ودوره في رسم السياسة الخارجية الألمانية 1871-1890"، **مجلة كلية الآداب** (بغداد)، ع 98، 2015، ص109.

[4] عبد العظيم رمضان، تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية إلى الحرب الباردة ، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، [د:ت]، ص118.

وعندما تولى بسمارك [1]منصب مستشار بروسيا سنة 1862م باشر في تنفيذ سياسته من أجل تحقيق الوحدة الألمانية وقال مقولته الشهيرة: "لا تقرر المسائل الكبرى الراهنة بالخطب و الهتافات .....ولكن تقرر بالحديد والدم " ويتضح من خلال قوله انه راهن على الصدام المسلح لحل المشكلة الألمانية حيث اصطدمت ألمانيا القوة القومية الناشئة في أوربا بجاراتها من الدول.[2]

ثانيا:الحرب مع النمسا 1866م:

رأى بسمارك أن النمسا هي العقبة الوحيدة أمام تحقيق الوحدة الألمانية لذلك مهّد لمحاربتها من خلال عقد اتفاق مع روسيا باعتبارها في حرب مع النمسا وجرت اتفاقيات بين نابليون الثالث وبسمارك من اجل ضمان حياد فرنسا ووقع معاهدة دفاعية مع ايطاليا سنة 1866م تضمنت وقوف ايطاليا إلى جانب بروسيا في حالة نشوب حرب بينها و بين النمسا مقابل حصولها على البندقية[3].

أصبحت الظروف مهيأة لإعلان الحرب على النمسا عن طريق قضية الدوقتين (شلزويج) و (هولشتين)[4] و بموجب معاهدة غاشتاين الموقعة سنة 1865م منحت ولاية هولشتين للنمسا وولاية شلزويج لبروسيا غير أن النمسا عرضت قضية الدوقتين على الدايت الألماني واعتبر بسمارك ذلك انتهاكا لمعاهدة الغاشتاين ، وأرسل جيوشه إلى هولنشاين و احتلها وبذلك بدأت الحرب البروسية النمساوية في منتصف شهر جوان 1866م وهزم الجيش النمساوي في معركة سادوا لكن بسمارك سارع إلى عقد صلح براغ مع النمسا في23 أوت 1866م ،و أعقب ذلك انضمـــــام الولايات الألمانية في الشمـــال إلى

---

[1] بسمارك: سياسي بروسي كبير ينتمي إلى طبقة اليونكرز، درس القانون خارج بروسيا،عمل على توحيد ألمانيا،تولى منصب المستشارية وخاض العديد من الحروب الناجحة ضد الدانمارك 1964م وضد فرنسا1870-1871... ينظر عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج1، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، [د:ت]، ص543.

[2] إحسان عبد الهادي سلمان النائب، المسالة الألمانية من وحدتها إلى إعادة توحيدها، [د:د]، 2013، ص25.

[3] جادطه،ألمانيا إلى أين المصير؟، دار المعارف، القاهرة، [د:ت]، ص64.

[4] دوقية هولتشين: سكانها من الألمان و بها أهم ثغر من ثغور بحر البلطيق وهو ثغر كييل، دوقية شلزويج: سكانها خليط من الألمان و الدنماركيين ... ينظر: زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، [د.ت]، ص387.

بروسيا ولم يرغم بسمارك الولايات الجنوبية على إتباع نفس السبيل بل عمد إلى نشر المراسلات السابقة بينه و بين نابليون الثالث التي توضح أطماعه في الولايات الجنوبية و هو ما دفع بهذه الأخيرة إلى الدخول في تحالف عسكري مع بروسيا للتعاون في حالة حدوث اعتداء فرنسي على أي من الطرفين.[1]

ثالثا:الحرب مع فرنسا 1870 م / 1871 م:

كانت حربه الثانية ضد فرنسا حيث شكلت مشكلة العرش الاسباني ذريعة للحرب البروسية الفرنسية عام 1870م، فبعد خلع الملكة إيزابيلا من عرش اسبانيا[2]، عمل بسمارك على ترشيح ملك بروسي هو البرنس ليوبولد ملكا على اسبانيا غير أن فرنسا اعترضت على ذلك الترشيح وحاولت الحصول من ملك بروسيا على وعد بان لا يقر قبول ذلك. وهو ما أتاح الفرصة بسمارك من أجل إثارة مشاعر الفرنسيين من خلال رفض الملك البروسي للطلب الفرنسي و إظهار رفضه بمثابة إهانة لفرنسا الأمر الذي دفع بهذه الأخيرة إلى إعلان الحرب على بروسيا في 19 جويلية 1870م غير أن الجيش البروسي استطاع أن يهزم الجيش الفرنسي بقيادة ماكمتهون في عدة معارك من بينها معركة سيدان ومعركة ميتز[3] و بعد توالي الهزائم على القوات الفرنسية اضطرت فرنسا إلى عقد صلح فرانكفورت في ماي 1871 الذي يقضي بـ :

1- تخلي فرنسا على إقليمي الألزاس و اللورين.
2- فرض غرامة مادية ضخمة على فرنسا.
3- خضوع فرنسا للاحتلال لمدة ثلاث سنوات يتم خلالها تسديد الغرامة[4].

[1] شوقي عطا الله الجمل،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص200.

[2]عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ،1974،ص40.

[3]عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر(1815-1919م)، مرجع سابق، ص 160.

[4] إحسان عبد الهادي سلمان النائب، مرجع سابق، ص30.

رابعا:إعلان قيام الاتحاد الألماني و تأسيس الرايخ:

في 18 يناير1871م أُعْلِن في بهو المرايا بقصر فرساي بفرنسا عن قيام الرايخ الألماني وذلك بتتويج غليوم الأول إمبراطورا على ألمانيا وتم الإعلان عن :

1-قيام إمبراطورية اتحادية تضم الولايات المختلفة.

2-تتمتع كل هذه الولايات بحكم محلي.

3-تقوم حكومة مركزية اتحادية في العاصمة تختص بالمصالح السياسية و الحربية و الاقتصادية المشتركة للولايات و تتكون هذه الحكومة من سلطة تنفيذية على رأسها الإمبراطور و المستشار الألماني،وسلطة تشريعية تضم مجلسين [1]هما مجلس الرايخستاج[2] ومجلس البندسرات.[3]

[1] شوقي عطا الله الجمل؛ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص201.

[2] الرايخستاج: اسم الجمعية التشريعية الألمانية،التي كانت تضم حوالي 400 عضو يُنتخبون لمدة خمس سنوات بالتصويت العام وللإمبراطور الحق في حلها بعد موافقة البندسرات... ينظر عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج2، ص805.

[3] البندسرات: هو مجلس الإتحاد ويضم ممثلين عن الولايات المختلفة، وكان هذا المجلس مصدر القوانين واحتفظت بروسيا بنفوذها فيه وذلك بحصولها على أصوات كافية لرفض أي قرار... ينظر: خالد نبال الدليمي ، مرجع سابق، ص122.

المبحث الثاني: الأوضاع في الدولة العثمانية

إن الحديث عن ظروف الدولة العثمانية يجرنا للحديث عن أهم السلاطين العثمانيين الذين كان لهم دور في صناعة السياسة الداخلية والخارجية لهذه الدولة والتي كانت مرآة عاكسة للأوضاع التي مرت بها في تلك الفترة حيث أن بعد خلع السلطان عبد العزيز وعزله تمت مبايعة السلطان مراد الخامس كبير أولاد السلطان عبد المجيد ، لكنه لم يعمر طويلا بسبب إصابته باختلال عقلي الأمر الذي أدى إلى إقالته عن الحكم وتعيين أخيه السلطان عبد الحميد الثاني مكانه سنة 1876م.[1]

السلطان عبد الحميد الثاني:(نشأته/سياسته)

السلطان عبد لحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية تولى الحكم فيها و هو في سن الرابع و الثلاثين من عمره . إذ ولد في22 سبتمبر 1842م ماتت والدته وهو في سن العاشرة من عمره فاعتنت به زوجة أبيه الثانية التي أحسنت تربيته،وتلقى تعليما منتظما في القصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة من رجالات زمنه ، وقد تعلم من اللغات العربية و الفارسية ، ودرس التاريخ وأحب الأدب، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية، تدرب على استخدام الأسلحة وكان مهتما بالسياسة العالمية و يتابع الأخبار عن موقع بلاده.[2]

أولا: سياسة عبد الحميد الثاني الداخلية

اتسمت سياسة عبد الحميد الثاني على المستوى الداخلي بمميزات عديدة منها محاولات الإصلاح في الدولة و ترميم النقص الذي ساد الدولة العثمانية في العهود التي سبقت حكمه ومن أهم ما قام به:

[1] إسماعيل أحمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض ، 1998، ص ص 176-177.

[2] علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة، 2001م، ص399.

1- إعلان الدستور1876م : شهد التاريخ العثماني الحديث العديد من المحاولات الإصلاحية منها خط شريف كلخانة[1] سنة 1839م و خط شريف همايوني[2] اللذين أصدرهما السلطان عبد المجيد ، غير أنه من ابرز الإصلاحات هو إعلان الدستور العثماني في 23ديسمبر 1876م الذي يقوم على أساس حكومة برلمانية ، ومن أهم ما نتج عنه تأسيس المجلس العمومي الذي يتألف من مجلس الشيوخ و مجلس النواب[3].

2-إعادة تنظيم الجيش وإصلاح شؤونه :حصل تقدم كبير في قوات الدولة العثمانية البرية و البحرية وأجرى إصلاحات في المدارس العسكرية، وترجم بعض الضباط العثمانيون الكتب العسكرية من اللغات الأوربية إلى اللغة التركية ،بالإضافة إلى تحسن الخدمات الصحية للجيش .

3- وفي الجانب العلمي والتعليمي: حصل توسع في إنشاء المدارس العسكرية وزاد عدد مدارس الأولاد حيث بلغ حوالي 264 مدرسة،بالإضافة إلى تأسيس مدارس للتعليم العالي.[4]

4- الشروع في إصلاح الدولة وفق التعاليم الإسلامية لمنع التدخل الأوروبي في شؤون الدولة ،و الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية ، ومقاومة كل الاتجاهات الغربية المخالفة للحضارة الإسلامية في ولايات الدولة و تشكيل جهاز استخباراتي قويا لحماية الدولة من الداخل.[5]

---

[1] خط شريف كلخانة :نسبة قصر الكلخانة (قصر الزهور)الذي أعلن فيه رسميا عن البدء بإجراء تغييرات جذرية في جميع مؤسسات الدولة و المساواة بين الموطنين في الحقوق ...ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 101 .

[2] خط شريف همايوني: الاسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين و بكتابة أيديهم أو ما حرره الكتاب وأمضاه السلطان ... ينظر سهيل صابان، المرجع نفسه ، ص 101.

[3] جمال الدين فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، تاريخ الدولة العثمانية رجال و مواقف، ط1، المنظمة المغربية للتربية و الثقافة و العلوم، فاس، 2013، ص103.

[4] عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864م-1914م، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص39.

[5] علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، مرجع سابق، ص406.

ثانيا: سياسة عبد الحميد الثاني الخارجية

واجهت السلطان عبد الحميد الثاني العديد من الصعوبات و المشاكل على المستوى الخارجي وفيما يلي عرض لأهم الأحداث التي تعرض لها:

1- **تمردات و ثورات البلقان 1876م:** قام سكان الجبل الأسود و الصرب بتحريض بلاد الهرسك للخروج على الدولة العثمانية عام 1876م واستطاع العثمانيون إخمادها، ومن جهة ثانية رغب السلطان عبد الحميد الثاني منع الدول الأوروبية من التدخل فاصدر قرارا بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي و المساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى ... غير أن السكان لم يرضوا بذلك فعادوا إلى الثورة ، و استمرت النمسا التي كانت ترغب في ضم البوسنة و الهرسك إليها في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية و طلبت مع روسيا و ألمانيا و فرنسا وبريطانيا من السلطان القيام بإصلاحات فوافق الأخير عليها لكن نصارى البوسنة لم يتقبلوا ذلك[1] . وفي نفس الوقت قامت ثورة في بلاد البلغار بدعم من الدول الأوروبية خاصة روسيا التي شكلت جمعيات لنشر نفوذ بلادهم بين الطوائف السلافية ومولت أنصارها بالسلاح و المال سرا.و نتيجة التحريض والتآمر المستمرين طالب البلغاريون بالاستقلال وقاموا بثورتهم ضد العثمانيين.[2] حيث أرادت روسيا توسعة حدودها من جهة بلغاريا والنمسا تريد توسعة حدودها من جهة البوسنة والهرسك .

1 علي محمد الصلابي،عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية و أسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، بيروت، 2012، ص21.

2 علي حسون، العثمانيون والروس، ط1، [د:د]، بيروت ،1982 ، ص123.

بدأت الجيوش الروسية تتدفق سرا على بلاد الصرب و الجبل الأسود وتمكنت الدولة العثمانية من الانتصار على الصرب و حلفائهم ،لأجل ذلك اجتمع ممثلو الدول الأوروبية في استانبول و قدموا اقتراحات للدولة العثمانية من أهمها :

- تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتها من النصارى.
- لا تحتل الدولة العثمانية سوى القلاع وبعض المدن الكبرى.
- أن تشكل الشرطة البلغارية من النصارى و أن تشكل لجنة دولية لتنفيذ هذه القرارات.
- تنازل الدولة العثمانية عن بعض الأراضي للصرب و الجبل الأسود.

لكن الدولة العثمانية رفضت هذه القرارات و عقدت صلحا منفردا مع الصرب مع سحب جيوشها منها و يتم رفع العلم العثماني والصربي دليلا على السيادة العثمانية.[1]

و كان السلطان عبد الحميد الثاني على يقين أن هدف الدول الأوروبية هو السعي لإسقاط الدولة العثمانية من خلال اجتماعهم في استانبول فلم يكن هدفهم تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تامين استقلالهم الذاتي ثم استقلالهم التام وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية.[2]

2- الحرب الروسية العثمانية (1877م-1878م):

كانت روسيا ترغب في الوصول إلى المياه الدافئة، وللوصول إلى هذه الغاية دعمت الثورات في البلقان و غيرها من الأقاليم العثمانية ولم تكتف بذلك بل عملت على قيام دول نصرانية مستقلة مثل: رومانيا، بلغاريا، الصرب و اليونان. وبعد أن حقق العثمانيون

[1] إسماعيل احمد ياغي ،مرجع سابق، ص 190.

[2] علي محمد الصلابي،عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية و أسباب زوال الخلافة العثمانية، مرجع سابق ، ص22.

انتصارات في البلقان انتهزت روسيا الفرصة في سبيل تحقيق حلمها خاصة بعد رفض الدولة العثمانية لمقررات اجتماع اسطنبول و لمقررات[1] بروتوكول لندن[2] وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية عام 1877م.

بدأت مجريات الحرب بعبور القوات الروسية نهر الدانوب من خلال الأراضي الرومانية باتجاه الأراضي العثمانية، ونظرا لتقدم الروس قام السلطان عبد الحميد الثاني بتغيير قيادات الجيش بتعيين القائد العثماني عثمان باشا[3]الذي تصدى لهم بكل شجاعة من جهة أخرى كان الهجوم الروسي على جبهتين: الجبهة الغربية التي تتمثل في اجتياز البلقان و الوصول إلى إسطنبول بأسرع ما يمكن، والجبهة الشرقية المتمثلة في الاستيلاء على الأناضول الشرقية.[4] وبفضل ذلك تمكن الروس من تحقيق النصر واضطر القائد عثمان باشا إلى الاستسلام.

أما في شرقي الأناضول جرت عدة معارك بين الطرفين وحقق العثمانيون انتصارا في بادئ الأمر، غير أن مجيء إمدادات عسكرية إلى روسيا قامت بهجوم عسكري ثاني أدى إلى سقوط بعض المدن مثل قارص وغيرها بيد الروس . وتمكنت روسيا من احتلال بلغاريا و أدرنة وانطلقوا نحو اسطنبول، وإزاء هذه التطورات تدخلت بريطانيا لمنع روسيا من احتلال اسطنبول حتى لا تصل روسيا إلى مياه البحر المتوسط الدافئة عبر مضيقي البوسفور و الدردنيل. [5] وفي نهاية الآمر تم عقد معاهــدة أياستيفانوس في 23مارس1878م التي أرادت

---

[1] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، مرجع سابق، ص410.

[2] بروتوكول لندن:وقع في 31مارس1877م من قبل بريطانيا،فرنسا،النمسا...عرضوا فيه على الدولة العثمانية شروطا اخف منها إجراء إصلاحات في دول البلقان ......ينظر محمد علي أروخان، السلطان عبد الحميد الثاني حياته و أحداث عهده، ط4، [د:د]، اسطنبول، 2008، ص83

[3] عثمان باشا: قائد عثماني شارك في حروب القرم 1853م وكان له دور في حوادث لبنان عام 1860م ثم أصبح قائدا وطنيا خلال الحرب الروسية العثمانية نظرا لصموده الباسل و بعد عودته من الأسر في روسيا عين ماريشالا في قصر السلطان... ينظر:علي حسون، المرجع السابق، ص128.

[4] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج2، ط1، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1993 ، ص153 .

[5] إسماعيل أحمد ياغي ، مرجع سابق، ص 191.

روسيا من خلالها أن تملي على الدولة العثمانية المغلوبة شروط الصلح قبل تدخل الدول الأوربية الأخرى والتي نصت على :

- تشكل إمارة بلغارية بسعة غير طبيعية حيث أنها امتدت حتى بحر ايجا.
- تقسم أراضي الروملي العثمانية إلى ثلاث.
- تعطى بلغاريا، مقدونيا، تراقيا الغربية، قيرقلارايلي و تمنح روسيا ولايات قارص، اردخان و بيازيد وقضاء باطوم[1]
- تحصل رومانيا على استقلالها الذاتي ويتعهد الباب العالي بحماية الأرمن و النصارى
- تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها 250مليون ليرة ذهبية ويمكن لروسيا أن تتسلم أراضي مقابل هذا المبلغ.
- تبقى المضائق (البوسفور والدردنيل)مفتوحة للسفن الروسية في السلم و الحرب.

قرر السلطان عبد الحميد عدم التصديق على هذه المعاهدة وقام ببعض العمليات الدبلوماسية مع الدول الأوربية لتخفيف بنود هذه المعاهدة، وتمكن السلطان من الحصول على مساعدة هذه الدول للدولة العثمانية ضد روسيا خاصة بريطانيا التي أجرت لها جزيرة قبرص لاستخدامها كقاعدة لها فخافت روسيا من انضمام بريطانيا إلى الدولة العثمانية فصرفت النظر عن الحرب.وبذلك نجح السلطان عبد الحميد الثاني في تعطيل معاهدة أياستفانوس وعمل على عقد مؤتمر في برلين[2] لبحث العلاقات الروسية –العثمانية نتج عنه توقيع معاهدة في هذا الصدد في 3 جويلية1878م خففت مضار المعاهدة الأولى.[3]

---

[1] يلماز أزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر:عدنان محمود سلمان، مر:محمود الأنصاري، مج2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1990، ص121.

[2] مؤتمر برلين 13 جوان1878م: انعقد في برلين برئاسة بسمارك وبحضور الدول الأوربية كبرى إلى جانب الدولة العثمانية جرى فيه تعديل اتفاقية أياستيفانوس، توالت الجلسات مدة شهر و أقر مجموعة من البنود والاتفاقيات المتعلقة بتقسيم أملاك الدولة العثمانية... ينظر علي حسون، مرجع سابق، ص ص 144-145.

[3] محمد حرب،السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار،ط1،دار القلم، دمشق، 1990،ص ص 40-41.

الفصل الأول : العــلاقات السياسيــة و العسكــرية

(الأسباب و المظاهر)

المبحث الأول: أسباب التقارب الألماني العثماني

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات السياسية

المبحث الثالث: مظاهر العلاقات العسكرية

الفصل الأول: العلاقات السياسية و العسكرية (الأسباب والمظاهر)

المبحث الأول: أسباب التقارب الألماني العثماني:

نتيجة للثورة الصناعية والتنافس الاستعماري بين الدول الأوربية التي أرادت الحصول على مكاسب جديدة داخل وخارج القارة الأوربية، ساعد ذلك على تعبيد الطريق بين الطرفين الألماني و العثماني من اجل إقامة علاقات أخذت طابع الود و الصداقة ودعم كل منهما للأخر في أزماته مع تحقيق الفائدة الاقتصادية و السياسية لكلا الطرفين.[1]وفيما يلي سنحاول تسليط الضوء على أهم الأسباب التي دفعت الطرفين للتقارب و توثيق العلاقات بينهما.

أولا: الأسباب الخاصة بألمانيا:

إن تحقيق ألمانيا لوحدتهاعام1871م انعكس إيجابا على النهضة الصناعية لألمانيا حيث أعطى زخما قويا للتطور الاقتصادي الألماني دفعها إلى الدخول في علاقات قوية مع الدولة العثمانية وذلك للأسباب التالية:

- من الناحية الاقتصادية: زيادة الإنتاج الصناعي بين1872م و1895بنسبة 64.5% وزيادة عدد السكان دفعا إلى المناداة بتقوية الصادرات الألمانية وممارسة سياسة استعمارية نشطة،ووسط هذه الدعوات شكلت الدولة العثمانية منطقة حيوية تستطيع حل مشكلات تصريف الإنتاج الألماني واستيعاب رأس المال.[2]
- توفر المواد الخام التي تلبي الاحتياجات اللازمة للصناعات الألمانية في الأناضول التركي مثل: القطن والحبوب المختلفة.وتحقيق المصالح الإستراتيجية من خلال إنشاء المواصلات ومشاريع السكك الحديدية التي تربط المناطق الداخلية للدولة العثمانية و تربط هذه الأخيرة بألمانيا مما يحافظ على مصالحها المنطقة.[3]

---

[1] أ،ج،جرانت،هارولد تمبرلي، تاريخ أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرون(1789-1950)، تر:بهاء فهمي، مر:أحمد عزت عبد الكريم ، ط6، مؤسسة سجل العرب، دار المحامي للطباعة القاهرة، [د:ت]،ص4.

[2] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر و العشرين،الفرات للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، ط1، 2007، ص41.

[3] حسين يوسف حسين عمر، " سياسة بيسمارك تجاه الدولة العثمانية(1871-1890م) " ، **مجلة الدراسات في التاريخ والآثار**(غزة) ،ع 53، نوفمبر 2016، ص388.

- رغبة ألمانيا في الاستيلاء على المناطق الغنية بالمعادن في أراضي الدولة العثمانية و استخدامها كنقطة ارتكاز لتوسعهم اللاحق و ترسيخ النفوذ الألماني السياسي و الاقتصادي فيها.[1]
- من الناحية السياسية و العسكرية: عمل بسمارك على عدم الوقوف في وجه طموحات روسيا في المسألة الشرقية[2]، ففي الحرب الروسية العثمانية(1877-1878م) أيَّد سياسة روسيا الهادفة إلى السيطرة على الممرات العثمانية بهدف إضعاف القدرات العسكرية الروسية بتحميلها أعباء حماية الممرات و أن تقدر روسيا لألمانيا تأييدها لها في تلك المسألة.

وإزاء التقارب الروسي الفرنسي، عاد بسمارك عن موقفه المؤيد لروسيا وسعى إلى ودعم السلطان العثماني بوجه المخططات الروسية ،وعمل على كسب الدولة العثمانية كصديق لألمانيا من خلال إصلاح الإدارة العثمانية واعدة تنظيم الجيش العثماني وتقويته لاستخدامه كحليف لها في أية حرب ألمانية وقائية ضد روسيا أو فرنسا[3].بالإضافة إلى نقل الخبرات وإرسال الوفود الألمانية العسكرية إلى الدولة العثمانية لتدريب الجيش العثماني وما سيتبعه من توريد صفقات كبيرة من الأسلحة مما يُدر على ألمانيا الكثير من الأموال ويعزز نفوذها في المنطقة.[4]

ثانيا:الأسباب الخاصة بالدولة العثمانية:

منذ تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم واجهته مشكلتان أساسيتان حيث تكمن الأولى في التخلص من إعــــلان الدولة العثمانية إفلاسها عام 1875م وإيجاد قاعـدة مالية

---

[1] جاوان حسين فيض الله جاف، الدبلوماسية الألمانية 1870-1914م،ص37.

[2] المسألة الشرقية:هي مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا والدولة العثمانية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها... ينظر:مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ، 2012، ص9.

[3] عبد الرؤوف سنو،ألمانيا والإسلام،مرجع سابق، ص ص 37-38 .

[4] حسين يوسف حسين عمر،" سياسة بيسمارك تجاه الدولة العثمانية(1871-1890م)"، مرجع سابق ،ص389.

مستقرة أما الثانية فتتمثل في إيجاد جيش عثماني متطور ومتقدم مما دفع بالسلطان إلى التوجه نحو الغرب[1].

وقد سلك السلطان عبد الحميد الثاني في سياسته الخارجية سبلا جديدة حيث رأى في ألمانيا القوة الجديدة التي لها ثقلها في التوازن الأوربي، لأجل ذلك عمل على التقرب منها خاصة بعد تأكده من قدرتها التسليحية المتفوقة في الحرب الفرنسية الأخيرة، و لكي تساعده في إعادة تنظيم جيشه المهزوم في الحرب الروسية العثمانية.[2] و يذكر السلطان في مذاكراته أسباب تقربه من ألمانيا بقوله:" ...والحقيقة أن بيننا و بين الألمان شبها في الصفات.و قد يكون هذا سببا في ميلنا نحوهم..."[3] . واتجهت أنظاره نحو ألمانيا التي كان بإمكانها أن تساعد الدولة العثمانية للمحافظة على استقلالها و سيادتها على أرضها و إنقاذها من الانهيار السياسي والعسكري و الاقتصادي.[4]

ونتيجة العداوة المباشرة لروسيا و بريطانيا تجاه الدولة العثمانية لم تعد أمام هذه الأخيرة وسيلة أخرى سوى التفاهم مع ألمانيا لأنه لا سبيل لحدوث مواجهة مسلحة بينهما نتيجة عدم وجود حدود مشتركة،وان التسليح العسكري يمكن أن يتطور كثيرا عن طريق المساعدة الألمانية[5]،وان ألمانيا لا تحمل عداءا مباشرا ولا تتخذ سياسة سيئة تجاه الدولة العثمانية والجدير بالذكر أن من الأسباب التي يسرت إتمام هذا التحالف هو رغبة ألمانيا في الاقتراب من الدولة العثمانية لأنها رأت فيها سوقا لتسويق منتجاتها،و مصدرا للمواد الخام اللازمة لمصانعها خاصة و أن ألمانيا في ذلك الوقت كانت تسير و بسرعة نحو قمة نموها الاقتصادي.[6]

---

1 أروخان محمد علي، مرجع سابق، ص122.

2 أكمل الدين إحسان أوغلي،الدولة العمانية تاريخ و حضارة،ج1، تر:صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون و الثقافة الإسلامية،استانبول، 1999،ص ص115-116.

3 السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية (1891-1908)، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977، ص123.

4 حسين يوسف حسين عمر،"سياسة بسمارك تجاه الدولة العثمانية(1871-1890م)" مرجع سابق، ص43.

5 سليمان جوقه باش،السلطان عبد الحميد الثاني، شخصيته وسياسته، تر: عبد الله أحمد إبراهيم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص306.

6 سيف الله آبا رجي،السلطان عب الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية، تر:عبير سليمان، ط1، دار النيل للطباعة و النشر،القاهرة،2011،ص58.

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات السياسية

جاءت الجهود الألمانية في مؤتمر برلين عام 1878م،للتوسط بين الدولة العثمانية و الدول الأوربية لتعطي دفعا قويا لتوطيد علاقاتها بالعثمانيين، ولقد تميزت العلاقات الألمانية العثمانية بمظاهر عديدة و لعل أبرزها زيارات الإمبراطور غليوم الثاني للدولة العثمانية و البعثات العسكرية الألمانية لتدريب الجيش العثماني.

أولا: زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني إلى الدولة العثمانية:

وصل الإمبراطور غليوم الثاني[1] اسطنبول في 2 نوفمبر 1889م على متن اليخت هوهنزولرن،حيث أُستقبل من قِبل السلطان العثماني بحفاوة كبيرة وأقيمت مراسيم احتفالية تكريما له،.[2] وعقب هذه الزيارة تم:

- إقامة بنوك ألمانية و مراكز تجارية في مختلف أرجاء الدولة العثمانية.
- إقناع السلطان عبد الحميد إنشاء خطوط حديدية طويلة تربط استانبول بالمدن الكبرى في الأناضول،بكل من سوريا و العراق و الحجاز لأن إنشاء هذه الخطوط سيساعد على ربط الدولة العثمانية بألمانيا مما يجعل هذه الأخيرة تقف مساندة للدولة العثمانية في مشاكلها السياسية و العسكرية.[3]
- التعاون العسكري بين الجانبين الألماني و العثماني فقد طلب الإمبراطور الألماني من السلطان العثماني الوقوف إلى جانب ألمانيا في حالة اندلاع حرب في أوروبا.[4]

[1] غليوم الثاني(1859-1941م): ملك بروسيا ثم إمبراطور ألمانيا،ابن الإمبراطور فريدريك الثالث و حفيد غليوم الأول، حققت ألمانيا في عهده تقدما صناعيا و اقتصاديا وانتهج سياسة التسليح لتقوية الجيش الألماني ... ينظر:عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج4، ص357.

[2] إبراهيم الأسود، الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية،ص7.

[3] محمد حرب، مرجع سابق، ص149.

[4] عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح ، ط1، دار البشير، عمان، 1991، ص118.

أما الزيارة الثانيـــة للإمبراطـور الألماني غليوم الثاني إلى إســطنبول فقــد كانت في 18أكتوبر1898م، برفقة وفد من كبار رجال الدولة إذ استقبله وفد عثماني برئاسة السلطان العثماني الذي قدَّم له الهدايا و الأوسمة وسار معه في موكب كبير إلى قصر يلدز العالي ولأجل ذلك نُظِم استعراض عسكري ترحيبا به.[1]

و بعد قضاء عدة أيام في العاصمة العثمانية غادر الإمبراطور الألماني اسطنبول متوجها إلى فلسطين حيث وصل إلى القدس في 29أكتوبر1898م أين حظي باستقبال بهيج من طرف كبار رجال الدولة المدنيين و العسكريين،زار خلالها عدة مدن فلسطينية من بينها: يافا، حيفا بيت لحم و القدس كما زار القبر المقدس في كنيسة القيامة و المسجد الأقصى [2].وبعد أن أنهى غليوم الثاني زيارته إلى فلسطين غادرها إلى بيروت التي وصلها في 5نوفمبر من نفس السنة ومن بيروت واصل رحلته بالقطار إلى دمشق في 7نوفمبر1898م[3].

وأثناء إقامته بدمشق التي استمرت إلى غاية 9 نوفمبر 1898م زار الإمبراطور الألماني الجامع الأموي ومختلف معالم المدينة وقبر صلاح الدين الأيوبي حيث وضع إكليلا من الزهور تعبيرا عن تقديره و إعجابه بالبطل المسلم .وقد عبَّر عن سروره نتيجة حفاوة الاستقبال وعن حرصه على صداقة السلطان العثماني من خلال الخطاب الذي ألقاه في دمشق،وفي يوم 12نوفمبر1898م غادر الإمبراطور الألماني أراضي الدولة العثمانية متوجها إلى بلاده.[4]

ومـن جـملـة الامتـيازات و المـكاسب التـي حقـقتها زيــارة الإمــبراطـور الألـمـاني إلى الدولة العثمانية نذكر:

---

[1] إبراهيم الأسود، مرجع سابق، ص13.
[2] حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1898-1909م)، دار الأحد، بيروت، 1978، ص ص 152-153.
[3] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام، مرجع سابق، ص359.
[4] حسان حلاق، مرجع سابق، ص154.

- الحصول على امتياز مشروع سكة الحديد برلين–بغداد الذي هو ثمرة الصداقة الودية بين ألمانيا و الدولة العثمانية[1]
- منح ألمانيا حق حماية الكاثوليك التابعين للكنيسة الألمانية في فلسطين.[2]
- تدشين كنيسة المخلص الإنجيلية الألمانية في 31أكتوبر1898م[3]
- الحصول على امتياز إنشاء مرفأ حيدر باشا إلى شركة الخطوط الحديدية الأناضولية الألمانية.

وقد كانت لهذه الزيارة أصداء كبيرة في جميع إنحاء العالم خاصة من قبل أعداء الدولة العثمانية لأنهم كانوا يتمنون بقائها وحيدة لتكون لقمة سائغة.[4] في حين حظيت هذه الزيارة اهتمام الصحف العربية التي تناولت الصداقة الألمانية العثمانية في كثير من تعليقاتها أن غليوم الثاني هو أعز أصدقاء السلطان العثماني و أخلص الملوك صداقة وأن هذه الزيارة جاءت تعبيرا عن عمق العلاقات السياسية بين الدولتين و أن الهدف منها هو الحج إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، في المقابل هناك من الصحف من رأت أن الهدف من هذه الزيارة هو سعي ألمانيا لكسب صداقة الدولة العثمانية من أجل الترويج لتجارتها و استخدامها كحليف في أي صراع أوربي مقبل.[5]

---

1 غليوم الثاني، مذكرات غليوم الثاني ، تر:أسعد داغر؛ محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1920 ،ص77.

2 السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص125

3 إبراهيم الأسود مرجع سابق، ص 41 .

4 يلماز أزوتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي و العسكري و الحضاري(629-1341هـ/1231-1922م)، تر:عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010،ص150.

5 عبد الرؤوف سنو،" رحلة إمبراطور ألمانيا وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحافة العربية المعاصرة" ، **مجلة تاريخ العرب و العالم** (بيروت)، ع 18، 1999 ، ص2.

المبحث الثالث: مظاهر العلاقات العسكرية

تجدر الإشارة إلى أن العلاقات العسكرية بين الدولتين بدأت بالخطوة الألمانية المتمثلة في ما قامت به بروسيا عام 1835م بإرسالها بعثة عسكرية لتتولى مهام تدريب الجيش العثماني التي استمرت في عملها إلى غاية 1839م، و تبع ذلك موافقة الحكومة الألمانية استقبال الضباط الشباب العثمانيين للدخول في الأكاديمية العسكرية الألمانية،[1] كما قبلت الدولة العثمانية العمل بمناهج التعليم العسكري المعمول بها في بروسيا،ولأجل ذلك استعانت بالخبراء والضباط البروسيين حتى أصبح الجيش حديثا أكثر من ذي قبل، و استمرت أعمال التجديد العسكري في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي عمل على التقرب من ألمانيا بعد تأكده من قدرتها التسليحية خاصة بعد خسارة الجيش العثماني في الحرب الروسية العثمانية [2] . وهكذا تنامت العلاقات العسكرية بين الدولتين الألمانية – العثمانية و التي تضمنت إرسال البعثات العسكرية الألمانية لتدريب الجيش العثماني و تطوير تسليح الجيش العثماني من خلال تزويده بالأسلحة الألمانية.

أولا: البعثات العسكرية الألمانية لتدريب الجيش العثماني: بدأت البعثات العسكرية الألمانية تتوافد منذ عام 1880م من أجل تحديث الجيش العثماني و تطوريه غير أنه عام1883م،وصلت أشهر بعثة عسكرية ألمانية لتتولى تنظيم الجيش العثماني وفق الأساليب و الأصول الحديثة،ترأسها الكولونيل فون درجولتش الذي بذل قصار جهده في واجبه للوصول بالجيش العثماني إلى مستوى عال من الكفاية و المقدرة .[3]

وقد تضمنت هذه البعثة الكثير من الضباط الهامين، فهي تكفل إعداد الضباط العثمانيين وتقدم المدربين العسكريين و تسلح الجيش بالأسلحة والذخيرة و يرجع دورها الرئيسي في عمل

[1] ليث محمد إبراهيم؛ميثاق بيات عبد ألضيفي،" السياستان الأمريكية و الألمانية تجاه الدولة العثمانية في القرن 19م وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى" **مجلة جامعة تكريت للعلوم** (تكريت)، ع6 ، مج19، 2012، ص383.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلي، مرجع سابق، ص ص410-411.

[3] جورج انطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية ، تر: ناصر الدين الأسدي و إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت ،1987، ص ص144-145.

المدربين العسكريين الذين يبثون في تلاميذهم حسا وطنيا بالغ الحيوية [1] ،وعقب ذلك أرسل السلطان عبد الحميد الثاني العسكريين إلى ألمانيا ليستكملوا دراساتهم في معاهدها العسكرية،و أوفد الضباط لحضور المناورات العسكرية و استورد الأسلحة و الذخائر من ألمانيا.[2]

ولقد أشرف الضباط الألمان على تدريب الجيش العثماني وحاولوا جعله صورة مصغرة عن الجيش الألماني بتشكيلاته و قطعه العسكرية وحتى اللباس.من جهة أخرى عمل الإمبراطور غليوم الثاني على دعم الدولة العثمانية في الجانب العسكري من خلال إرسال البعثات العسكرية الألمانية لتقوية الجيش العثماني وتدريبه على احدث الوسائل باعتبار أن الجيش أهم ركن في الدولة لإبقائها قوية أمام أعدائها، نظير ذلك تمتع الضباط الألمان بمكانة عالية في الدولة العثمانية لقاء خدماتهم و تدريبهم للجيش العثماني حيث منحت لهم الرتب العسكرية الهامة وتم تعيين الكثير من الضباط الألمان برتبة باشا [3]و قائد في الجيش العثماني[4] .ومن خلال ذلك يتضح أن غاية ألمانيا من تقوية الدولة العثمانية عسكريا ليس تحقيق أهداف سياسية وإنما الحصول على المزيد من النفوذ داخل الدولة العثمانية،و استخدام الجيش العثماني المزود بالسلاح الألماني وتحت الإشراف الألماني في الحرب ضد روسيا.[5]

استمرت العلاقات العسكرية الألمانية–العثمانية بمتابعة الألمان تحديث الجيش العثماني من خلال استحضار بعثة عسكرية ألمانية ذات سلطة واسعة يصحبها متخصصون فنيون لتنظيم كل فروع وزارة البحرية و هيئة أركان الحرب و المدارس الحربية و المصانع، و

---

[1] روبير مانتيران،مرجع سابق،ج 2، ص 222.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013، ص 464

[3] سهام الهنداوي،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية وثائق سرية (1876-1909م)، ط1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق ،2015،ص ص115-116.

[4] باشا: كلمة معناها قدم الملك وأطلق هذا المصطلح على رتب متعددة عسكرية و مدنية كما أُطلق على العسكريين الحائزين على رتبة عليا كأمير لواء....ينظر:محمود عامر،المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية،[د:د] ، دمشق، 2012، ص368.

[5] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام، مرجع سابق، ص38

إثر وصول بعثة ليمان فون ساندرس[1] التي طلبها الصدر الأعظم[2] من الحكومة الألمانية عام 1913م إلى إسطنبول،أوكلت لها مهمة تدريب وتنظيم الجيش العثماني و نتيجة لذلك حصلت زيادة في موارد الجيش الدفاعية خصوصا في المضايق[3].

ثانيا: تزويد الجيش العثماني بالسلاح الألماني: كان الجيش العثماني يأخذ عتاده وأساليبه من بلدان أوربية مختلفة(فرنسا،بريطانيا) ومع تطور العلاقة بين ألمانيا و الـــدولة العثمانية و توطيد الصداقة بين الإمبراطور غليوم الثاني و السلطان عبد الحميد الثاني حصلت ألمانيا على نوع من الاحتكار في تجارة الأسلحة للدولة العثمانية[4]،حيث ازدادت صفقات الأسلحة مع الدولة العثمانية و تضاعفت وتيرة إنتاج معامل الأسلحة في ألمانيا مع تطور العلاقات الألمانية العثمانية.

ولقد حلَّت صادرات الأسلحة الألمانية للدولة العثمانية، التي ترافقت مع البعثات العسكرية الألمانية من خلال شركة كروب وماوزر و لوقيه نسبة عالية في قائمة الصادرات ففي الفترة ما بين 1888م إلى1897م بلغت قيمة الأسلحة المباعة 85.6 مليون مارك ،و هذا يعني أن مبيعات الأسلحة احتلت نسبة فاقت 25%من مجمل الصادرات الألمانية إلى الدولة العثمانية.[5] وبعد زيارة غليوم الثاني إلى الدولة العثمانية1889م قُدرت قيمة مبيعات الألمان من الأسلحة للعثمانيين حوالي 5.9مليون مـارك،و كانت طلبيات الأسلحـــة تـرد إلى الدولة العثمانية بشكل سنوي وبذلك احتكرت ألمانيا ســوق تجــارة الأسلحـــة مع العثمانيين و استمرت عملية تسليح الجيش العثماني بالسلاح الألماني إلى غاية الحرب العالمية الأولى.[6]

---

[1] ليمان فون ساندرس(1855-1929م):ولد في 18فيفري 1855م بمقاطعة بوميرانيا في ألمانيا، بدأ حياته المهنية العسكرية عام1847م،عُيّن رئيسا للبعثة العسكرية الألمانية إلى الدولة العثمانية1913م...ينظر: جمال باشا، مذكرات جمال باشا، إع: محمد السعيدي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2013، ص150.

[2] الصدر الأعظم: هو الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية وكان وكيلا مطلقا للسلطان، أُطلق عليه الوزير الأعظم ولقب بالصدر العالي...ينظر: سهيل صابان ، مرجع سابق، ص143.

[3] جمال باشا، مصدر سابق، ص ص 148-149.

[4] روبير مانتيران، مرجع سابق، ج2، ص223.

[5] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام،مرجع سابق، ص54.

[6] سهام الهنداوي،المرجع السابق،ص119.

استمر الألمان في مساندتهم للعثمانيين من خلال وقوفهم إلى جانب السلطان العثماني في أزمة الأرمن[1] التي قادت فيها بريطانيا الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية،إلى جانب ذلك شكلت بعثة الجنرال ليمان فون ساندرس والتي جاءت من أجل إعادة تنظيم الجيش العثماني خاصة بعد هزيمته في حروب البلقان عاملا مهما في ترسيخ النفوذ الألماني في الدولة العثمانية عن طريق منحها صلاحيات عسكرية و إدارية واسعة و هكذا سارت العلاقات الألمانية–العثمانية إلى أن تُّوجت بعقد معاهدة التحالف.[2]

ثالثا: المعاهدة الألمانية العثمانية : يعتقد الكثير أن هذه المعاهدة تم إبرامها خلال الحرب العالمية الأولى، غير أنها وُقِعت مع السفير الألماني فون فانغنهايم (Von Wangenheim)[3] في 2 أوت 1914م والتي نصت على غلق المضائق أمام السفن التجارية و الحربية، وإقفال الممرات العثمانية أمام اتصال روسيا بحلفائها الغربيين، أن ينشط العثمانيون عسكريا ضد بريطانيا في مصر و ضد روسيا في القوقاز و البحر الأسود، و بتوقيع هذه المعاهدة تكون ألمانيا قد ضمنت وقوف الدولة العثمانية إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى .[4]

بناءا على ما سبق ذكره نستنتج أن الدولة العثمانية استفادت من الدعم العسكري الألماني خاصة في ظل ضعف جيشها و أسلحتها،فقد عالج الألمان أهم نقاط الضعف و الوهن في الجيش العثماني.و تُوِجت العلاقات الألمانية–العثمانية بتشكيل حلف قوي في المنطقة من خلال خوض الطرفان الحرب العالمية الأولى جنبا إلى جنب ضد دول الحلفاء.

---

[1] الأرمن:عاش الأرمن على مدار التاريخ تحت الحكم الفارسي،البيزنطي...لكن الأتراك السلاجقة هم من خلَّصوا الأرمن من الحكم البيزنطي ومنحوهم الحق في حياة إنسانية.وقد استفاد هؤلاء الأرمن أثناء حكم الدولة العثمانية على إعفاء من الضرائب وحصلوا على فرص في التجارة و الزراعة والحِرَف.غير أنه مع ضعف الدولة العثمانية وتعرضها للتدخل الأوربي في شؤونها، هدفت دول الغرب إلى فصل الأرمن عن الدولة العثمانية، ودفعت بالأرمن إلى تكوين جبهة معارضة للحكم العثماني...ينظر:سيف الله آبارجي، مرجع سابق،ص ص98-99.

[2] ليث محمد إبراهيم؛ ميثاق بيات عبد ألضيفي، مرجع سابق، ص 385.

[3] فون فانغنهايم (Von Wangenheim):دبلوماسي ألماني عمل سفيرا في المكسيك ثم احتل منصبه في الدولة العثمانية كسفير لألمانيا من سنة1912م إلى أكتوبر 1915م، كان دائم الإلحاح بضرورة إشعال الحرب ضد روسيا و فرنسا و بريطانيا....ينظر جمال باشا ،مصدر السابق،ص199.

[4] عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و السلطنة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى تحالف تحت مظلة الجهاد،ص 3.

الفصل الثاني : العــلاقــات الاقــتــصــاديــة

المبحث الأول : مشروع سكة الحديد برلين – بغداد

المبحث الثاني: مشروع سكة الحديد الحجاز

الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية

قبل الحديث عن مشاريع السكك الحديدية التي ميزت العلاقات الاقتصادية الألمانية– العثمانية لابد من الإشارة إلى أن ألمانيا عملت في البداية على حماية الاقتصاد العثماني و إبعاده عن نفوذ الدول الأوربية الأخرى لذلك أقامت علاقات اقتصادية وثيقة ارتكزت على معاهدة تجارية وُقِعت بين الدولتين عام 1890م.[1]ومن جهة ثانية سلكت ألمانيا سبيلها لتنشيط البعثات العلمية للكشف عن الآثار في المناطق العثمانية والتنقيب عن البترول الذي وجد في الموصل[2]. كما شجعت الحكومة الألمانية تدفق رؤوس الأموال الألمانية على الدولة العثمانية و زيادة حجم التبادل التجاري بين الدولتين وأوفدت مندوبين للشركات التجارية الألمانية إلى اسطنبول وأسست بنوكا كبرى حيث أنشأ جماعة من أصحاب رؤوس الأموال الألمانية خطا للملاحة البحرية بين هامبورغ و اسطنبول سنة 1889م،أُطلق عليه "خط الليفانت الألماني"(Deutsche Levante Linie) لدعم تجارة ألمانيا في الدولة العثمانية واحتل في هذه الأخيرة رأس المال الألماني منذ عام 1888م المكانة الأولى وبذلك أُقصيت رؤوس الأموال البريطانية و الفرنسية[3].

وبفضل المعاهدة السالفة الذكر، استطاعت ألمانيا تحقيق نجاحات ملموسة في مجال التجارة الخارجية مع الدولة العثمانية حيث بلغت قيمة صادرات الدولة العثمانية إلى ألمانيا عام 1890م 9.6 مليون مارك[4] في حين بلغت قيمة واردات الدولة العثمانية من ألمانيا 34.1 مليون مارك،أما في عام 1900م فقد وصلت قيمة الصادرات 30.2مليون مارك و قيمـة الـواردات 34.4مليون مارك، ويظهر من خـلال ذلك أن حصـة ألمانـيـا في التجارة

---

[1] هاشم صالح التكريتي، " التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، **مجلة المؤرخ العربي**، (بغداد)، ع27، ص46 .
[2] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 464
[3] عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص172.
[4] مارك: كانت العملة الرسمية لألمانيا

الخارجية مع الدولة العثمانية كانت تزداد حتى احتلت ألمانيا المركز الرابع في الاستيراد العثماني عام 1910م ثم احتلت المركز الثاني عام 1914م[1].

إضافة إلى ذلك قامت ألمانيا ببناء عدد من المشاريع الاقتصادية و العمرانية في الدولة العثمانية نذكر منها:

- إنشاء تراموای الأستانة[2] عام 1887م.
- تمديد كابل: كونستنز–اسطنبول 1899م
- تجهيز ميناء حيدر باشا و تطوير ميناء البصرة و اسكندرونة .
- إنشاء مصرف فلسطين الألماني عام 1899موزراعة القطن واستخراج زيوته عام 1905م.
- تجديد جسر اسطنبول و نقل ملكيته إلى الألمان وتأسيس بنك الشرق عام 1906م.
- امتلاك نسبة 25% من أسهم شركة النفط العثمانية عام 1912م
- ري سهل قونية[3] لزراعة القمح و إقامة قناة طولها 200 كلم عام 1914م.

وبالاستناد إلى هذه المشاريع و المنشآت العمرانية،بلغ حجم الرأسمال الألماني الموظف في كامل أنحاء الدولة العثمانية عام 1914م 1.8 مليار مارك أي بنسبة 7.7% من مجمل الاستثمارات الألمانية خارج البلاد .أما حجم القروض الألمانية الرسمية للدولة العثمانية فقد بلغت 867.6 مليون فرنك عام 1914م[4].

[1] هاشم صالح التكريتي، مرجع سابق، ص 47.
[2] الأستانة: الاسم القديم لاسطنبول، ويعني عتبة الباب و المركز...ينظر: سهيل صابان، مرجع سابق، ص15.
[3] قونية (Iconuim) : مدينة في تركيا الآسيوية(الأناضول)، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه في ولاية قره مان ،كانت في عام 1074م مقر الإمبراطورية التركية السلجوقية في آسيا الصغرى... ينظر: س.موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 2002 م، ص 412.
[4] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام، المرجع السابق، ص51.

المبحث الأول: مشروع سكة الحديد برلين- بغداد

أولا: الأفكار الأولى لإنجاز سكة الحديد برلين – بغداد

لقد أحدثت السكك الحديدية ثورة عظيمة في وسائل النقل و المواصلات الأمر الذي مهَّد لوضع الخطط اللازمة لإنشاء خط حديدي يربط بين شرق البحر الأبيض المتوسط و خليج البصرة أين تم وضع الخطط البريطانية منذ عام 1840م من أجل تنفيذ هذا الخط الحديدي، غير أن افتتاح قناة السويس عام 1869م وفرض الرقابة البريطانية عليها جعلها تصرف النظر عن مشروع إنشاء الخط الحديدي لأن هذه القناة تضمن لبريطانيا الوصول إلى الهند عن طريق البحر بكل راحة و أمن[1]. في المقابل بذلت ألمانيا قصارى جهدها للظفر بتنفيذ هذا المشروع منها جهود المهندس الألماني فون ويليم برسل الذي عمل على تحديث شبكة مواصلات الدولة العثمانية، و قام بإقناع السلطان العثماني بأهمية الخطوط الحديدية مستغلا هزيمة الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا(1877م-1878م)، الأمر الذي دفع بهذا الأخير إلى الموافقة على خطة المهندس الألماني بإنشاء خط حديد بغداد.

في البداية رفض السلطان العثماني أكثر من عرض لتمويل المشروع بسبب الصفة المتعددة الجنسيات التي اتسمت بها هذه العروض،[2]حيث عمل على استبعاد كل من فرنسا التي كانت لها مصلحة خاصة بمشاريع السكك الحديدية للوصول إلى سوريا، دون أن ننسى بريطانيا التي كانت تسعى للاستيلاء على هذه الخطوط مستقبلا. وقام بالتقرب من ألمانيا باعتبار أن مسألة الخطوط الحديدية تهمها من الناحية الاقتصادية و المالية فقط عكس بقية الدول الأوربية الأخرى التي كانت تهمها من الناحية السياسية والاستعمارية.وهو ماأدى في النهاية إلى قيام ألمانيا بإنشاء شركة حديد الأناضول عام 1888م بمساعدة البنك الألماني من أجل بناء خط حديدي من مدينة حيدر باشا إلى أنقرة التي وصلها الخط عام 1892م .[3]

---

[1] سليمان جوقه باش ، المرجع السابق، ص ص228-229.

[2] محمد شعبان صوان، السلطان والمنزل، الحياة الاقتصادية في آخر أيام الخلافة العثمانية و مقاومتها لتمدد الرأسمالية الغربية، ط1، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2013، ص173.

[3] يوسف حسين يوسف عمر، " موقف بريطانيا من سكة حديد برلين- بغداد"، **المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار** (عمان) ،ع4، مج7، 2012، ص ص175-176.

وفي 6 ماي 1899م حصلت شركة خطوط الأناضول على امتياز بمد الخطوط الحديدية عبر الممتلكات العثمانية إلى الخليج العربي .[1]

ثانيا:توقيع العقد:

تمهيدا لتحقيق المشروعات الألمانية في الدولة العثمانية قام الإمبراطور الألماني غليوم الثاني بزيارتين رسميتين للسلطان عبد الحميد الثاني في الأستانة، أين نجح في عقد امتياز مد سكة حديد بغداد الذي يُعتبر امتدادا للخط المنشأ من حيدر باشا إلى قونية ، حيث وافق السلطان العثماني على منح الألمان امتياز مد سكة الحديد برلين –بغداد عام 1903م[2]تعهدت فيه شركة سكة حديد الأناضول العثمانية وهي شركة ألمانية اتخذت لنفسها هذا الاسم بمد خط حديدي يمتد من قونية إلى بغداد والبصرة والخليج العربي،وقد ناب عن الحكومة العثمانية وزير التجارة و الأشغال العمومية وناب عن الشركة ثلاثة من مديريها.

أُطلق على مشروع هذا الخط الحديدي اختصار طريق ب–ب–ب (Route B–B–B) لأنه يبدأ من برلين ويمر ببيزنطة ثم بغداد،واختيرت كلمة بيزنطة بدلا من اسطنبول أو الأستانة أو القسطنطينية حتى تبدأ أسماء هذه المحطات الرئيسية بحرف الباء.[3] وتَكَون عقد الامتياز من ست و أربعون مادة نذكر منها :

1–تكون مدة الامتياز 99 عام،[4]وتشغيل الرعايا العثمانيين و تحويل عمل الخط لأيدي عثمانية كليا بعد خمس سنوات من التشغيل مع التزام الشركة بدفع 500ليرة سنويا للفقراء.

2–تحويل كل الأجهزة و المواد المستعملة في إنشاء الخط إلى ملكية الدولة العثمانية بعد خمس سنوات من التشغيل،و عودة كل الآثار المكتشفة أثناء العمل إلى ملكية الدولة[5].

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر و التوزيع، الإسكندرية، ، 1992، ص400

[2] سعيد بن سعد سفر الغامدي، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام و مصر) 1876م-1909م، ط1، مكتبة التوبة، الرياض ، 1992، ص121.

[3] عبد العزيز محمد الشناوي، مصدر سابق، ج3 ، ص ص183-184.

[4] سعيد بن سعد سفر الغامدي، مرجع سابق، ص122.

[5] محمد شعبان صوان، مرجع سابق، ص 185.

3–نص عقد الامتياز على أن يمر الخط الحديدي بالمدن الآتية: قرمان– كرداش بلى – حميدية – باجتشب –كيليس –حران –نزيب –الموصل – صادجة– كربلاء– زبير –إرجلي –أضنة – عثمانية –كازانالي – تل حبيش – رأس العين –عونيات– تكريت –بغداد –النجف البصرة.[1]

4– تكوين شركة محاصة[2] باسم شركة الإمبراطورية العثمانية لسكة حديد بغداد تحل محل شركة سكة الحديد الأناضول، و تتعهد هذه الأخيرة بألا تتنازل أو تُحول الخط الحديدي القائم من قبل الممتد من حيدر باشا إلى أنقرة و قونية لأي شركة أخرى.

5–تقوم الشركة بتسليم الدولة العثمانية ما تم مده من الخطوط الحديدية بواقع 200كم لكل مرحلة و تراقب وزارة الأشغال العثمانية عمليات إنشاء الخط واستغلاله على أن يُودِع أصحاب الامتياز كل عام مبلغا حدد ب 270 قرشا ذهبيا عن كل كيلو متر،ويدفع هذا المبلغ شهريا من التاريخ المحدد لبدء انجاز الخط حتى إنتهاء العقد.

6– يحق لأصحاب الامتياز تملك الأراضي الأميرية[3] التي يمر منها الخط لمد السكة و إقامة المنشآت العامة. أما إذا كانت الأراضي ملكا للأفراد فهي تُشترى منهم بالسعر المناسب.

7–يلتزم الموظفون و المستخدمون في مرفق الخط الحديدي بوضع الطربوش على رؤوسهم وارتداء اللباس الرسمي الذي توافق عليه الحكومة العثمانية مع تعهد هذه الأخيرة بحفظ العاملين على إنشاء الخط.

8–حق الحكومة العثمانية في إقامة منشآت عسكرية دفاعية على الخط الحديدي الرئيسي و فروعه كلما رأت ضرورة ذلك[4]

---

1 عبد العزيز محمد الشناوي، مصدر سابق، ج3، ص 185.

2 شركة محاصة:هي عبارة عن شركة مستترة ليس لها شخصية معنوية تنعقد بين شخصين أو أكثر لاقتسام الأرباح الناشئة عن عمل تجاري أو أكثر يقوم به أحد الشركاء باسمه الخاص...ينظر: مصطفى كمال طه، القانون التجاري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1980، ص 235.

3 الأراضي الأميرية:هي الأراضي التي تملكها الدولة العثمانية و تمنحها لمن تشاء بموجب شروط معينة مثل أصحاب التيمار و الزعامت والملك الخاص ... ينظر: محمود عامر، مرجع سابق، ص359.

4 عبد العزيز الشناوي، المصدر السابق، ج3، ص ص 189-190

ثالثا: هدف ألمانيا

- أرادت ألمانيا من الحصول على هذا الامتياز تحويل المناطق التي يمر بها خط ب–ب–ب في الدولة العثمانية إلى مناطق لإنتاج المواد الخام و المحاصيل الزراعية التي تستخدم في الصناعة الألمانية،ووضع هذه المواد و المحاصيل في خدمة الاقتصاد القومي الألماني.
- استغلال نفوذها السياسي في الدولة العثمانية بوضع خطط تستهدف تحقيق الاستخدام الأفضل و الأمثل للخط الحديدي في الأغراض الحربية من ناحية ،و زيادة إمكانات إنتاج المواد الخام وسرعة نقلها إلى ألمانيا من ناحية أخرى.[1]
- رغبة ألمانيا في الزحف نحو الشرق لتجسيد سياستها الاقتصادية و زيادة نفوذها المالي في الدولة العثمانية ومن ثم استغلال موادها الطبيعية و تحقيق أغراضها العسكرية ذلك أن هذا المشروع سيؤدي إلى امتداد نفوذها امتدادا متصلا عبر البلقان و الأناضول وبذلك يتفوق النفوذ الألماني على نفوذ الدول الأوربية الأخرى.

رابعا: هدف السلطان عبد الحميد الثاني

هدف السلطان عبد الحميد الثاني من وراء منح هذا الامتياز لألمانيا، أن يتيح لدولته الانفتاح و يستفيد من الخبرات و رؤوس الأموال الألمانية ،و تنفيذ إصلاحات ملموسة يُشْعِر بها رعايا الدولة وساسة أوربا ليدرك الجميع أن أوربا دخلت عصر الإصلاحات و المشروعات الإنتاجية بالإضافة إلى ربط مختلف أجزاء البلاد [2] .من جهة أخرى أدرك السلطان أن تنفيذ مشروع ب–ب–ب يعود بفوائد جمة على الدولة العثمانية فمن الناحية الاقتصادية والعمرانية تؤدي إلى ازدهار المدن وفتح طرق جديدة وهو ما يؤدي إلى تحسن معيشة السكان. و تطور التجارة الداخلية و الخارجية أما من الناحية الإستراتيجية يؤمن الخط سرعة التحرك العسكري[3].

---

[1] Sean Mcmeekin, the Brlin-Baghdad,the Belknap press of Harvard University press Cambridge, Massachuttes,2010,p7.

[2] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص465.

[3] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص126.

خامسا: بناء سكة حديد برلين بغداد

شرعت شركة سكة حديد بغداد في تحضير رؤوس الأموال اللازمة لتنفيذ العمل، وعقب ذلك أخذ العمل يسير بسرعة إلى أن أتموا العمل في تنفيذ الجزء الأول من السكة و الممتد من قونية– بلغورلو عام 1904م، وتم افتتاحه بصورة رسمية في 25 أكتوبر 1904م، بعد ذلك بدأ التحضير لإنجاز الجزء الثاني من السكة غير أن الصعوبات المالية وقفت أمام ذلك خاصة و أن الأراضي التي تعقب بلغورلو هي أراضي جبلية تشكل قسما من جبال طوروس الشاهقة يصعب العمل فيها[1]، وهو ما دفع بالحكومة العثمانية إلى زيادة الضرائب المفروضة على الواردات في الدولة العثمانية وطلبت هذه الأخيرة من الدول الكبرى السماح لها بزيادة نسبة الضرائب الجمركية بنسبة11% غير أن الطلب لم يلق قبولا من الدول المعنية [2].وفي عام 1906م تمكنت الدولة العثمانية من الحصول على الموافقة لزيادة 3%من الضرائب الجمركية على أن تدخل حيز التنفيذ عام1907م.

رغم كل الصعوبات التي اعترضت المشروع إلا إن السلطان عبد الحميد الثاني كان متحمسا لإكمال تنفيذ الخط الحديدي ورفض بدوره مساهمة بريطانيا في المشروع تحت أي ظرف من الظروف لكن حلمه اصطدم بانقلاب 1908م، والذي أدى إلى عزله عام1909م.ومع ذلك فإن الشركة قامت في كانون الأول من عام 1909م ببناء القسم الجديد من السكة عبر جبال طوروس و أومانوس[3].

وفي عام 1911م وقعت ألمانيا مع الحكومة العثمانية اتفاق عام قدمت بموجبه الدولة العثمانية إلى شركة سكة حديد بغداد الضمانات المطلوبة لغرض مد السكة نحو بغداد

[1] محمد علي كرد، خطط الشام، ج5 ، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1927م، ص211.
[2] محمد شعبان صوان، مرجع سابق، ص182.
[3] لؤي بحري، سكة حديد بغداد، شركة الطبع و النشر الأهلية، بغداد، 1967م، ص ص86

ومنحتها حق بناء خط فرعي من مدينة العثمانية إلى الإسكندرونة ،و الحق في بناء ميناء هناك.وفي نفس الوقت قامت السلطات الألمانية بإبلاغ الحكومة العثمـانيـة عـن التنازل عن

حق بناء القسم الممتد من بغداد إلى الخليج العربي شريطة حصول المصالح الألمانية على نفس المزايا التي تحصل عليها أية دولة أخرى توكل لها مهمة إنجاز القسم المذكور.[1]

في المقابل شهدت عملية بناء الخط الحديد برلين بغداد تدخل العديد من الدول الأوربية خاصة بريطانيا التي ضغطت على الدولة العثمانية من أجل توقيع اتفاقية عام 1913م اعترفت فيها هذه الأخيرة باستقلال الكويت الإداري و الكف عن التدخل في شؤونه. أما بخصوص مد سكة حديد بغداد–البصرة فقد تم توقيع اتفاقية في 9 مارس 1914م تقضي بمنح إحدى الشركات البريطانية امتياز الوصلة الممتد مابين البصرة حتى ميناء الكويت.

من جهة أخرى اتفقت فرنسا وألمانيا بموجب معاهدة عقدت بين الطرفين في 15 فيفري 1914م على التقاء سكة حديد بغداد بسكة حديد شام–حماه وتمديدها في حلب وامتدادها إلى البحر المتوسط حتي الإسكندرونة ،لكن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف تنفيذ جميع ما ورد في هذه الاتفاقيات.[2]

لقد تباينت مواقف الدول الأوربية الكبرى من مشروع سكة حديد برلين بغداد والتي سنحاول تسليط الضوء عليها في عنصر لاحق.

---

[1] المرجع نفسه، ص87.

[2] محمد المحمد حسين، مستجدات المسألة الشرقية بعد مؤتمر برلين (1878م-1916م)، رسالة غير منشورة، أعدت لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، جامعة دمشق، سوريا، 2010م، ص76.

المبحث الثاني: سكة حديد الحجاز

أولا: الأفكار الأولى لإنشاء سكة حديد الحجاز

لقد سعت الدولة العثمانية إلى العمل من أجل إقامة عدد من الخطوط الحديدية التي كان من بينها سكة حديد الحجاز،لكن المصادر و الكتابات التاريخية اختلفت حول فكرة إنشاء هذا الخط، فهناك من يعتبر أن فكرة إنشائه تعود إلى سنة 1864م عندما اقترح مهندس أمريكي على الحكومة العثمانية مد خط حديدي بين دمشق وساحل البحر الأحمر،لكن الحكومة العثمانية لم تكن مسيطرة على زمام الأمور [1]في لواء الكرك.وهناك من يرى بأن في عهد السلطان عبد العزيز تبلورت فكرة إنشاء خط حديدي يمتد من اسطنبول إلى المدينة المنورة على يد المسؤولين ووضعت ضمن جداول الأعمال للدولة العثمانية غير أن الأوضاع المالية و الاقتصادية لم تتح للسلطان انجاز هذا المشروع. [2]

و تُرْجِعُ رواية أخرى أن فكرة المشروع تعود إلى سنة 1880 حين قدّم وزير الأشغال العثماني إلى حكومته مشروعا أوسع من السابق يقضي بمد خط حديدي إلى الأراضي المقدسة، غير أن المشروع لم يلق ترحيب من قبل المهندسين و الجغرافيين بحجة أن المناطق التي سوف يجتازها الخط تسكنها قبائل من البدو والرحل اعتادوا السلب و النهب و احتمال قيام هؤلاء بالهجوم على الخط الحديدي[3].

---

[1] عبد العزيز محمد عوض ، مرجع سابق، ص282.

[2] متين هولاكو، الخط الحديدي الحجازي المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثاني، تر: محمد صواش، ط1، دار النيل ، القاهرة، مصر، 2011، ص14

[3] محمد كرد علي، مرجع سابق، ج5، ص187.

وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن فكرة مد سكة حديدية إلى الحجاز قد نبتت أولا في ذهن عزت باشا[1] الذي كانت خطته مد الخط الحديدي من دمشق إلى المدينة المنورة ومنها إلى مكة، ووجه نداء للعالم الإسلامي وضح فيه الدافع الديني للمشروع وبَيَّن للسلطان عبد الحميد الثاني أهمية الخط الحديدي الذي سيفيد الدولة العثمانية في عدة جوانب.[2] ففي عام 1900م عهد السلطان عبد الحميد الثاني بتشييد خط حديدي من دمشق إلى المدينة المنورة تحت إشراف مهندسين من الألمان.[3]

ثانيا:أهداف إنشاء الخط الحديدي الحجازي:

بعد حركة التنظيمات،[4] قام السلطان عبد الحميد الثاني بانتهاج سياسة تقوم على إنشاء الخطوط الحديدية التي كان من بينها خط حديد الحجاز الذي كان أحد أمنياته وقد أشار إلى ذلك بقوله:" كان إنشاء الخط الحديدي الحجازي أحد أمنياتي منذ زمن بعيد فبدأت هذه الأمنية بالتحقق"[5].حيث كان السلطان العثماني يهدف من وراء إنشاء هذا الخط تحقيق أهداف متعددة ومتنوعة تتقدمهم الأهداف الدينية التي تمثلت في:

- تخفيف الأعباء و المتاعب التي كانت تعترض حجاج بيت الله الحرام أثناء ذهابهم وإيابهم من دمشق إلى المدينة المنورة و مكة المكرمة، فلقد كان الحجاج يلقون شتى المصاعب وهم يركبون الجمال عبر الصحاري و تحت حرارة الشمس في فصل

---

[1] أحمد عزت باشا (1855م-1924):ابن محي الدين أبي الهول المسمى هولو باشا ابن عمر بن عبد القادر العابد،وُلد في دمشق وتعلم فيها، عُين مفتشا للعدلية في سوريا ثم أسس جريدة أسبوعية بالعربية و التركية أسماها(دمشق)، بعد ذلك انتقل إلى الأستانة وخدم السلطان عبد الحميد الثاني ، وهو الذي سعى إلى إنشاء سكة الحديد الحجازية ، غادر الدولة العثمانية بعد انقلاب 1908 ليذهب إلى لندن ثم استقر بمصر التي توفي بها و نُقل جثمانه إلى دمشق... ينظر عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج1، ص101.

[2] جورج انطونيوس، مصدر سابق، ص 142.

[3] موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني و الخلافة الإسلامية، مؤسسة صخر الخليج للطباعة و النشر و التوزيع والإعلان، الكويت، 1984، ص113.

[4] التنظيمات: تعبير عثماني يطلق على مجموعة الإصلاحات التي حاولت الدولة العثمانية القيام بها لمعالجة التفكك المتزايد في بناها و قوانينها ،وبدأت هذه التنظيمات في عهد السلطان عبد المجيد الثاني(1839م-1861م) تهدف الى تنظيم شؤون الدولة في جميع المجالات إلا أنه في عهد السلطان عبد الثاني تم إلغاء التنظيمات...ينظر عبد الوهاب الكيالي،مرجع سابق، ج1، ص793.

[5] السلطان عبد الحميد الثاني،مذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص105.

الصيف والبرد القارص في فصل الشتاء بالإضافة إلى تعرضهم لغارات البدو التي كانت تلحق بهم خسائر كبيرة في أرواحهم و ممتلكاتهم[1].

- تعزيز الصلات بين المسلمين وقد أشار السلطان عبد الحميد الثاني إلى ذلك من خلال قوله:" المهم هو إتمام خط سكة حديد بين دمشق و مكة في أسرع وقت... ففي هذا تقوية للرابطة بين المسلمين"[2]، وأراد من جهة أخرى خدمة الحجاج و تسهيل وصولهم إلى المدينة المنورة ونشر فكرة الجامعة الإسلامية التي كان رائدها جمال الدين الأفغاني(1839-1897م)[3] وضمان تأييد المسلمين له.[4]
- وتمثل الهدف العسكري في تسهيل تحركات العسكرية و حشد الجيوش بغية التصدي للهجمات الخارجية التي قد تتعرض لها مناطق الحجاز و اليمن، وإحكام السيطرة على البقاع الجغرافية ذات التوتر الدائم.أما الهدف الاقتصادي فتمثل في إنعاش الاقتصاد الراكد بالمنطقة من خلال تحقيق نهضة تجارية واقتصادية لمدن الحجاز وكافة المدن الواقعة على امتداد الخط، و ضمان رواج المنتجات الزراعية والتجارية من خلال نقلها نقلا سريعا في القطار إلى مناطق أخرى[5].
- وتمثل الهدف الإستراتيجي في رغبة السلطان عبد الحميد الثاني في ربط أجزاء الدولة المتباعدة و السيطرة الكاملة على الولايات، وعبَّر على ذلك بقوله:"سيتم إن شاء الله مد هذا الخط وسنستغني عن قناة السويس وستربط اسطنبول بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة،وسنتمكن من تأمين المواصلات المنية و العسكرية بكل أمن و اطمئنان.[6]"و مما

[1] إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج و مشاعره الدينية، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1925، ص71.

[2] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، تر: محمد حرب، ط3، دار القلم للطباعة والنشر و التوزيع ،1991، ص ص24-25.

[3] جمال الدين الأفغاني: سياسي ومفكر إسلامي و مصلح ديني ، وُلد في سعد أباد بأفغانستان عام 1839م ، نشأ في كابول وزار عددا من الأقطار العربية ، كان يدعو لتحرر الأمم الإسلامية من الاستعمار و النفوذ الأجنبي ثم مثل تيارا بارزا في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية منطلقا من التسامح و الإخاء، مستهدفا تحرير الشرق الإسلامي من الاستعمار الأوربي... ينظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج 1، ص ص231-232.

[4] موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص114.

[5] صالح كولن،"سكة حديد الحجاز"، **مجلة حراء** (بغداد)، ع16 ، مركز التوزيع و النشر ، 2009، ص19.

[6] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص106.

لاشك فيه أن السلطان عبد الحميد الثاني هدف من وراء هذا المشروع زيادة التآلف و التعارف بين المسلمين و نقل أفكارهم ونشرها إضافة إلى هدفه الرامي للقضاء على دسائس بريطانيا و مؤامراتها في البحر الأحمر و الجزيرة العربية.[1]

ثالثا: تمويل و بناء الخط الحديدي الحجازي

في عام 1900م أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن عزمه بناء خط حديدي يمتد من دمشق إلى المدينة المنورة، ليكون بديلا عن طريق البر لقوافل الحج الذي كان يستغرق من المسافرين حوالي أربعون،ونظرا للتكاليف الباهظة للمشروع تألفت لجنة برئاسة عزت باشا العابد الذي وجّه بدوره نداءا للعالم الإسلامي بَيَّن فيه الدافع الديني للخط الحديدي الحجازي[2]،كما خصصت الدولة العثمانية 18% من ميزانيتها لإنشاء الخط غير أن ذلك لم يكف، هذا و قد رفض السلطان العثماني –رغم كل المحاولات– القرض الخارجي المعروض عليه ، و نظير ذلك راح يبحث عن وسائل أخرى لتمويل المشروع عن طريق حملات التبرع التي تم تنظيم الأولى منها شهر مايو 1900م حيث قام السلطان عبد الحميد الثاني بريادة هذه الحملة و دفع من ماله الخاص 50 ألف ليرة.[3] وتبرع أمير هندي بمليون فرنك وأمر السلطان العثماني باقتطاع 10% من رواتب الموظفين لمدة شهر واحد كما رُصِدت أثمان جلود الأضاحي في عيد الأضحى لإنفاقها على المشروع[4].

لاقت الدعوة إلى التبرع استجابة واسعة وسرعان ما انهالت التبرعات من جميع البلدان حتى البعيدة منها ومن ملوك و أمراء المسلمين حيث بلغت حصيلة هذه التبرعات 760 ألف ليرة عثمانية ولأن هذا المبلغ لم يكن كافيا للبدء في التنفيذ فقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتخصيص إيرادات بعض المناطق وبعض الضرائب لتوفير الأموال اللازمة للمشـــروع

[1] توفيق علي برو، العرب و الترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة ، 1961م، ص36

[2] نزار علوان عبد الله، سكة حديد الحجاز و أشراف مكة (1900-1914)، قسم التاريخ، جامعة المستنصرية،ص4.

[3] متين هولاكو، مرجع سابق، ص29.

[4] سعيد بن سعد سفر الغامدي، مرجع سابق، ص116.

وفُرِض على كل حاج ميسور الحال ريالا واحدا يدفعه أثناء موسم الحج ،كما بِيعَت بعض الألقاب الفخرية مثل(باشا،بيك[1])دعما لأعمال البناء.وعندما توفرت الإعتمادات المالية المطلوبة لتغطية نفقات المشروع،باشرت الدولة العثمانية في توفير المواد اللازمة للبدء في التنفيذ و البناء[2].

شُرع في إنجاز الخط الحديدي الحجازي في ماي 1900م، حيث كانت البداية من المزيريب في منطقة حوران جنوب دمشق، وفي سبتمبر1900م تم تدشين العمل في خط الحديد بين الشام ودرعا . و قد افتتح القسم الأول من الخط الحجازي أي دمشق–درعا في ماي1903م وبعده بشهر واحد افتتح قسم درعا– عمان، و في اليوم الأول من سبتمبر 1905م انطلقت أولى رحلات القطار بين الشام ومعان لنقل البضائع و الركاب، بعد ذلك وصل الخط إلى مدائن صالح عام 1906م[3]. والجدير بالذكر أن الأعمال الفنية للمشروع أُسندت للمهندس الألماني (ماينسر باشا) الذي عمل تحت قيادته 34 مهندس، 17منهم عثمانيون و الآخرون معظمهم من الألمان بالإضافة على مهندسين من إيطاليا،فرنسا،النمسا،بلجيكا واليونان ، كما ساهم في إنشاء الخط عمال من مناطق جغرافية مختلفة من العالم الإسلامي في مقدمتها سوريا و العراق ولمّا كانت أعداد هؤلاء العمال محدودة، وتحمل الجنود العثمانيون معظم أعمال المشروع مقابل أجور ضئيلة خلال فترة عملهم.[4]

وصل الخط الحجازي إلى المدينة المنورة عام 1908م و في 22 أوت لنفس السنة وصل أول قطار إلى محطة سكة الحديد في المدينة المنورة من دمشق حيث استغرق القطار في رحلته ثلاثة أيام في حين كانت الرحلة تستغرق أكثر من خمس أسابيع [5].

---

[1] بيك: هو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشاوية وذريتهم ثم أُستعمل لقبا لمعظم كبار الموظفين الذين يُكَلَفون بإدارة الولايات ويسمون وزراء الخارج...ينظر: محمود عامر، مرجع سابق، ص271.

[2] نزار علوان عبد الله ، مرجع سابق، ص5

[3] محمد علي كرد، مصدر سابق، ج5، ص ص189 -190.

[4] صالح كولن، مرجع سابق، ص20.

[5] موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص115.

وفي الجدول التالي سنحاول ذكر أهم الخطوط التي شملها الخط الحديدي الحجازي و تاريخ افتتاحها:

اسم الخط	تاريخ افتتاحه
مزيريب- دعا	1 سبتمبر 1901 م
درعا- الزرقاء	1 سبتمبر 1902 م
دمشق- الزرقاء- عمان	1 سبتمبر 1903 م
عمان- معان	1 سبتمبر 1904 م
معان- تبوك	أواخر 1906م
طارق - مدائن- صالح	1 سبتمبر 1907م
مدائن-صالح-المدينة المنورة	سبتمبر 1908م

وتم إنشاء خطوط فرعية عام 1908م امتدت بين بيروت،دمشق،حمص،حيفا و القدس بالإضافة إلى خطوط رياق وحلب، وبذلك تمكنت الدولة العثمانية من الوصول من اسطنبول إلى أراضي الحجاز ومن سوريا إلى الأردن. وعليه فإن طول الخط بلغ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني5792 كم، بتكلفة بلغت حوالي ثمانية ملايين و نصف المليون ليرة عثمانية[1].

ولقد كان من المقرر أن يصل الخط الحجازي إلى مكة المكرمة غير أن شريف مكة – الحسين بن علي[2] – خشي على سلطاته في الحجاز فقام بعرقلة مد المشروع من المدينة المنورة إلى مكة بالإضافة إلى موقف الأشراف المعارض للمشروع. وعند قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م عملت بريطانيا بالتحالف مع القوات العربية على تخريب سكة حديد الحجـاز.[3]

[1] متين هولاكو، مرجع سابق، ص ص 32- 34 .

[2] الحسين بن علي (1854م-1931م): ملك الحجاز و مؤسس الأسرة الهاشمية المالكة في العراق سابقا و آخر من حكم مكة،ولد في اسطنبول ثم انتقل إلى مكة وهو طفل أين تفقه و نظّم الشعر، وهو والد الملك فيصل و الملك عبد الله، توترت علاقته تدريجيا بالدولة العثمانية حيث طالب بالانفصال عنها بدعم من بريطانيا من خلال إعلان الثورة عليها من أجل إقامة دولة تضم الحجاز و المشرق العربي والتي عرفت بالثورة العربية الكبرى عام 1916م ... ينظر عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج2، ص542.

[3] موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص115.

الفصل الثالث : المواقف الدولية من التقارب الألماني العثماني ونتائجه.

المبحث الأول : المواقف الدولية

المبحث الثاني: نتائج التقارب الألماني العثماني

الفصل الثالث: المواقف الدولية من التقارب الألماني العثماني ونتائجه

المبحث الأول: المواقف الدولية من التقارب الألماني العثماني

عملت الدول الأوربية على محاصرة الدولة العثمانية و تقسيم تركتها بشتى الطرق و الأساليب باعتبار أن هذه الأخيرة تهدد كيان و مصالح تلك الدول, ما فرض الحالة العدائية للدولة العثمانية،و فيما يلي سوف نعرض موقف الدول الأوربية من مختلف المشاريع الاقتصادية التي جمعت بين ألمانيا و الدولة العثمانية أو بالأحرى موقفها من التقارب الألماني العثماني.

أولا:موقف بريطانيا

كان موقف بريطانيا من التقارب الألماني العثماني لاسيما عند حصول ألمانيا على امتياز سكة حديد بغداد متحفظا في البداية،واعتبرت ذلك الامتياز وسيلة لإيقاف الأطماع الروسية و الفرنسية في المنطقة.[1] لكن سرعان ما غيَّرت موقفها بعدما أدركت خطر هذا التقارب بصفة عامة والمشروع بصفة خاصة،باعتبار أن مشروع سكة حديد بغداد يقضي على ما كان لبريطانيا من السيطرة التامة على مياه الخليج ويهدد مصالحها في الهند،في المقابل يفتح هذا المشروع الباب للألمان من أجل الوصول إلى البحر،ولهذا السبب يترتب على الحكومة البريطانية منع إنشاء هذا الخط[2]،حيث قامت بريطانيا باستغلال العناصر التي ترى أنه من صالحها انهيار الدولة العثمانية [3]مثل حركة تركيا الفتاة[4].

[1] يوسف حسين يوسف عمر، " موقف بريطانيا من سكة حديد بغداد1898-1914 "، مرجع سابق، ص177.
[2] أبو خلدون ساطع الحصري، البلاد العربية و الدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت،1960، ص196.
[3] حسان حلاق، مرجع سابق، ص281.
[4] تركيا الفتاة: :الاسم الشعبي لجمعية الإتحاد و الترقي،وهي المجموعة الثورية التي تمردت على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م أصبحت بعد ذلك الحزب السياسي المهم في الدولة العثمانية ..ينظر علي حسون، مرجع سابق،ص160.

ومن ناحية ثانية سارعت بريطانيا إلى سد باب البحر أمام الألمان عن طريق عقد اتفاقية مع شيخ الكويت مبارك الصباح عام 1899م،باعتبار أن السيطرة على الكويت أنجح السبل لمنع وصول السكة الحديدية إلى الخليج **و** بموجب هذه الاتفاقية، تعهد شيخ الكويت بأن لا يعقد أية اتفاقية مع دولة أخرى،وأن لا يتنازل عن أي جزء من أراضي الكويت و لا يؤجره لأية دولة أو شركة أخرى، مقابل ذلك تعهدت بريطانيا بمنح الشيخ مساعدة مالية سنوية و حمايته من أي هجوم قد يقع عليه[1].

وقد كانت الكويت في نظر الحكومة العثمانية تابعة للبصرة منذ ولاية مدحت باشا[2]حيث أرادت توطيد حكمها هناك بإرسال جيش عثماني لتحقيق ذلك الغرض. غير أن بريطانيا سبقتها و أرسلت بارجة حربية لمنع وصول ذلك الجيش إلى الكويت[3].وفي عام 1900م جاء قنصل ألمانيا في الأستانة شمرش على رأس وفد إلى الكويت الذي حاول شراء أرض في مينائها لإقامة سكة حديدية في الكاظمية، لكن شيخ الكويت رفض استقباله و طلبه تنفيذا للاتفاق المعقود بينه وبين البريطانيين اللذين تدخلوا مرة ثانية عندا حاول السلطان عبد الحميد الثاني استدعاء مبارك الصباح لاحتجازه فيها،ولما ظهر لألمانيا و الدولة العثمانية صعوبة إخضاعه–شيخ الكويت– لرغبتهما و جعل مدينته نهاية الخط الحديدي، سارع السلطان عبد الحميد الثاني إلى إرسال طابور من الجند في حين قامت بريطانيا بتسليح شيخ الكويت استعدادا للحرب الأمر الذي دفع بالسلطان العثماني إلى الرضوخ و الاعتراف بتبعية تلك المنطقة لشيخ الكويت[4].

---

[1] جميل بيضون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، بيروت، 1992م، ص128.

[2] مدحت باشا(1822-18832): يعتبر من أهم رجال الدولة العثمانية وأبو الدستور العثماني سنة1876م وهو ابن حاجي حافظ،ولد في اسطنبول،أتقن اللغة العربية و الفارسية و الإنجليزية وتقلد عدة وظائف في الدولة العثمانية منها رئيسا لمجلس شورى الدولة ثم واليا على بغداد وواليا على دمشق وحاول تنشيط حركة أدبية وسياسية واجتماعية متحررة في بغداد والشام،توفي بالطائف في الحجاز... ينظر: جمال باشا، مصدر سابق، ص432.

[3] أبو خلدون ساطع الحصري، مصدر سابق، ص197.

[4] توفيق علي برو، مرجع سابق، ص ص 38-39.

توسعت المشاكل الناجمة عن سكة حديد بغداد ما جعل ألمانيا تتساهل و تتنازل عن بعض الحقوق حيث أظهرت استعدادها ترك حق إنشاء الخط بين بغداد و البصرة لصالح شركة عثمانية تساهم فيها الدول الأوربية مقابل منحها امتياز بمد خط بين حلب و اسكندرونة لربط خط بغداد بالبحر، وافق الباب العالي على هذه التسوية في حين فضلت بريطانيا تشكيل شركة عثمانية تتولى إنشاء السكة تكون أسهمها فيها أكبر من مجموع الأسهم الأخرى بغية ضمان معاملاتها التجارية[1].

بقيت هذه المسائل عالقة طيلة حكم عبد الحميد الثاني إلى غاية انقلاب 1908م. كانت بريطانيا و حلفاؤها يتحينون الفرصة لإثارة مشكلة الخط الحديدي إلى أن جاءت الفرصة المرتقبة خاصة بعد تأزم الأوضاع في البلقان عندها رأت الدولة العثمانية تسوية مشاكلها مع بريطانيا وبغية ذلك بدأت المفاوضات بين الطرفين في مؤتمر لندن عام1912م والتي انتهت بتوقيع اتفاقية في 29جويلية 1913م اعترفت فيها الدولة العثمانية باستقلال الكويت الإداري و الكف عن التدخل في شؤونها، كما تضمنت هذه الاتفاقية اعترافها–الدولة العثمانية– بشرعية المعاهدة الكويتية البريطانية 1899م[2]،أما فيما يتعلق بمد سكة حديد بغداد– البصرة فقد جاء فيها ما يلي:" في حالة اتفاق الدولة العثمانية مع حكومة صاحب الجلالة على تمديد خط حديد بغداد البصرة حتى الكويت،تتفق الحكومتان على التدابير التي يجب اتخاذها فيما يختص بحماية هذا الخط و المحطات التي تقام عليه..."غير أن هذه الاتفاقية لم توقع بسبب استمرار الخلاف حول تمديد الخط[3].

و في 9مارس 1914م وقعت اتفاقية تقضي بمنح إحدى الشركات البريطانية امتياز مد السكة من البصرة حتى ميناء الكويت كما عقدت ألمانيا اتفاقية مع بريطانيا بتاريخ 15 جوان 1914م تعهدت فيها الأخيرة بأن لا تتخذ أو تشجع أية محاولات تحول دون مد السكك

---

[1] أبو خلدون ساطع الحصري، مصدر سابق، ص199.
[2] توفيق علي برو، مرجع سابق، ص41
[3] توفيق بني المرجة، مرجع السابق، ص114.

الحديدية أو صيانتها أو مساهمة رؤوس الأموال، مهما كان مصدرها في تمويلها لكن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف تنفيذ جميع ما ورد في تلك الاتفاقيات[1].

أما بالنسبة لموقف بريطانيا من سكة حديد الحجاز فقد نشبت أزمة بين الدولة العثمانية و الحكومة البريطانية حول قضية طابا[2] ذلك أن الدولة العثمانية حينما رأت اقتراب الخط الحديدي من نقطة تحاذي خليج العقبة قامت بفرض رقابة شديدة حول المنطقة باحتلال موقع طابا تفاديا للخطر البريطاني المحتمل على الخط،و لضمان سلامته قامت الدولة العثمانية بتعديل خط الحدود بينها و بين مصر بحيث جعلت الخط يمتد من العريش إلى السويس بدلا من رفح إلى العقبة وبذلك أضافت الدولة العثمانية لنفسها رقعة كبيرة من الأرض في شبه جزيرة سيناء في المقابل رأت بريطانيا أن أصابع الألمان الخفية كانت وراء هذا العمل[3]. ولمّا تأزمت المسألة أرسلت بريطانيا أسطولها إلى المنطقة و رفعت إلى الباب العالي إنذارا تدعوه إلى إجابة مطالبها خلال عشرة أيام منها:إخلاء طابا، عودة عساكر رفح إلى حدودهم و إعادة عمودي رفح إلي مكانهما، الأمر الذي جعل السلطان العثماني يرضخ لمطالب بريطانيا بسحب جنوده من طابا و العريش و العودة إلى الحدود القديمة[4].

والجدير بالذكر أن الخط الحديدي الحجازي أثار مخاوف بريطانيا نتيجة قربه من قناة السويس مما يهدد مصالحها التجارية و السياسية، لذلك كان المراقبون في تتبع لمراحل إنشاء الخط الحديدي و تمويلاته[5]، وكانت هناك محاولات ألمانية من أجل مد هذا الخط إلى مكـة المكرمة ومنها إلى جدة وبعض الولايات العثمانية الأخرى غير أن قيام الحرب العالمية الأولى حالت دون إكماله[6].

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، مرجع سابق، ص 406

[2] طابا: مدينة مصرية تابعة لمحافظة جنوب سيناء وتقع على رأس خليج العقبة ...ينظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق،ج 3، ص 748.

[3] موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص115.

[4] توفيق علي برو، مرجع سابق، ص 41.

[5] سعيد بن سعد سفر الغامدي، مرجع سابق، ص.120

[6] محمد علي كرد،المصدر السابق،ج5،ص195.

نستنتج مما سبق أن بريطانيا عملت بكل الطرق على مجابهة التقارب الألماني العثماني وذلك خوفا على مصالحها و تجارتها من جهة، و الخوف من التغلغل الألماني في المنطقة من جهة أخرى.

ثانيا: موقف روسيا:

شعرت روسيا منذ البداية أن ألمانيا لا ترغب في زيادة و تقوية علاقاتها الاقتصادية مع الدولة العثمانية فحسب،بل أنها في الواقع تريد اكتساب مناطق نفوذ ألمانية في تلك الدولة عبر خطة التوسع الألماني في الشرق،الأمر الذي يعرقل مساعي روسيا للوصول إلى المياه الدافئة على الخليج العربي و البحر الأبيض المتوسط ،كما عارضت روسيا تحديث طرق المواصلات و النقل التي يُمكن استخدامها ضد روسيا في حال نشوب حرب مع الدولة العثمانية.[1] ومن جهة أخرى اقترحت روسيا توقيع اتفاق مع ألمانيا ينص على اعتراف الأخيرة بحقوق روسيا في المضايق مقابل تعهد روسيا بعدم عرقلة مشاريع السكك الحديدية في آسيا الصغرى غير أن ألمانيا لم تُعِر اهتماما للمقترح الروسي.

وفي اللقاء الذي جمع القيصر الروسي نيقولا الثاني[2] بالإمبراطور الألماني غليوم الثاني عام 1901م حاول خلاله الإمبراطور الألماني إقناع القيصر الروسي بأن مشاريع السكك الحديدية ذات أهداف تجارية بحتة وأن مصلحة روسيا ستؤخذ بعين الاعتبار عند تحديد مسار هذه المشاريع، غير أن الصحافة الروسية انتقدت ذلك. ويعود سبب معارضة روسيا لمشاريع السكك الحديدية التي ميزت العلاقات الاقتصادية الألمانية العثمانية خاصة مشروع سكة حديد بغداد إلى أن مشروع سكة حديد بغداد سيزيد من النفوذ الأجنبي في آسيا الصغرى بالإضافة إلى أن الحبوب و الغلال الرخيصة التي سيتم نقلها إلى الأسواق الأوربية تنافس الحبوب الروسية[3] .

---

[1] لؤي بحري، مرجع سابق، ص116.

[2] نيقولا الثاني:وُلد في 18 مارس1868م،في مدينة بوشيكين وهو آخر إمبراطور روسي، تزوج عام 1894م من الأميرة ألكسندرا و تولى العرش 1895م وتم إعدامه عام1918م من طرف البلاشفة..ينظر:علي حسون، مرجع سابق،ص172.

[3] نوري عبد البخيت،روسيا ومشروع سكة حديد بغداد،[د:د]، بغداد، [د:ت]،ص54.

وبعد التوقيع النهائي على امتياز سكة حديد بغداد عام1903م اتخذت روسيا التدابير اللازمة لمناهضة هذا المشروع من خلال قيامها بجميع المحاولات لعرقلة إنشاء الخط و رفضها زيادة الضرائب على الواردات العثمانية خوفا من أن تكون ألمانيا هي المستفيد.[1]

ومن أجل مواجهة الخطر الألماني المحتمل والذي بدا واضحا من تغلغل الألمان في الدولة العثمانية خاصة بعد حصولها على امتياز خط حديد بغداد عقدت روسيا مع بريطانيا معاهدة سان بطرسبرغ عام 1907م ومن أهم ما ورد فيها:اقتسام الدولتين لأراضي إيران،وقد جاءت هذه المعاهدة لتبين المعارضة البريطانية الروسية للمشروع الألماني. لكن بعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني عقد الإمبراطور الألماني مع القيصر الروسي نيقولا الثاني اتفاق بوتسدام عام 1911م تراجعت فيه روسيا عن معارضتها للخط مقابل قيامها بتمديد الخطوط الحديدية في بلاد فارس .وفي عام 1913 وقعت روسيا اتفاقا مع الدولة العثمانية تراجعت فيه عن موقفها المعادي للمشروع.[2]

والجدير بالذكر أن روسيا أوفدت بعثة لاختيار أفضل الطرق لمد خط حديدي عبر القوقاز يقطع فارس باتجاه الخليج العربي لكن أعضاء البعثة أظهروا تخوفهم من أن يتقاطع هذا الخط مع الخط الألماني في بغداد، إلا أن هذا المشروع أُهمل بسبب معارضة السفيرين البريطاني و الألماني في الدولة العثمانية حيث شجعا الباب العالي على رفضه بحجة أن روسيا لا تمتلك الإمكانيات المادية لدعم المشروع من جهة والتخوف من النفوذ الروسي في الدولة العثمانية من جهة أخرى.[3] وكخطوة بديلة أبدت روسيا رغبتها في إقامة مركز لها في الكويت بحجة اتخاذه كمستودع للفحم لكي تتزود به السفن الروسية.[4]

ثالثا:موقف فرنسا

عارضت فرنسا التقارب الألماني العثماني حيث كانت تتحين الفرصة لإلحاق الضرر بالسلطان عبد الحميد الثاني ودولته من جهة وتسعى للثأر من الضربة القاسية التي تلقتها

---

[1] محمد شعبان صوان، مرجع سابق، ص175.
[2] عبد العزيز الشناوي مصدر سابق، ج3، ص ص 222- 223.
[3] طارق نافع الحمداني، العثمانيون والروس في الخليج العربي دراسة في العلاقات السياسية بينهما(1878-1907م)، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية،رأس الخيمة،الإمارات العربية المتحدة،من19-21نوفمبر1988،مركز الدراسات و الوثائق،الإمارات العربية المتحدة،2001،ص ص20-21.
[4] محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص465.

من ألمانيا عام 1871م من جهة أخرى، كما عارضت وبشدة الامتيازات التي حصلت عليها ألمانيا من الدولة العثمانية و [1]يظهر موقف فرنسا من التقارب الألماني العثماني في قول السلطان عبد الحميد الثاني:"منحنا للإمبراطور الألماني حق حماية الكاثوليك التابعين للكنيسة الألمانية في فلسطين.فبدأت فرنسا في الصراخ و العويل".[2]

ومع اشتداد التقارب الألماني العثماني كانت منطقة النفوذ الفرنسي الرئيسية سوريا و لبنان اللتين قامت فرنسا بتحويلهما إلى مصدر للخامات الزراعية حيث سيطر الرأسماليون الفرنسيون على إنتاج و تصريف خامات الحرير السورية و قاموا بإنشاء ميناء كبير في بيروت وذلك خوفا من التغلغل الألماني في المنطقة[3].أما بالنسبة لمشاريع السكك الحديدية الألمانية العثمانية، تقدمت فرنسا للباب العالي بعدة طلبات مقابل الامتياز الممنوح للشركة الألمانية منها امتياز لمد سكة حديد دمشق حماه–حلب مع حق إنشاء بعض الفروع لهذا الخط وامتيازا لإنشاء عدة موانئ على ساحل البحر المتوسط.وفضلا عن ذلك تقدمت بمشروع لمد سكك حديدية بين حمص و بغداد لأن هذه السكة ستكون أحسن وسيلة لنقل و تصريف المنتجات الزراعية[4].في المقابل رفضت فرنسا المساهمة في مشروع سكة حديد بغداد،وفي هذا الشأن أجاب سفير فرنسا في الأستانة بأن فرنسا ترحب بالمشروع لكن يستحيل عليها المساهمة فيه مادام الخط تحت إدارة الألمان بل يجب أن تكون المساهمة في العمل و الإدارة و النفوذ بالتساوي بين الجميع[5]،و إزاء المعارضة الفرنسية للمشـــروع وجدت ألمانيا نفسها مضطرة للتفاهم معها وفي عام 1914م توصلت إلى اتفاق مع فرنسا نص على تقسيم الأناضول و سوريا إلى منطقتين لاستغلالهما في مشاريع السكك الحديدية على تكون المنطقة الأولى لألمانيا و المنطقة الثانية من نصيب فرنسا غير أن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف تنفيذها[6]

---

1 سليمان جوقه باش، مرجع سابق، ص526.
2 السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مصدر سابق، ص125.
3 فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ط8، دار الفارابي، بيروت، 1985م، ص358.
4 أبو خلدون ساطع الحصري، مصدر سابق، ص 199.
5 موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص117.
6 محمد المحمد حسين، مرجع سابق ، ص76.

المبحث الثاني:نتائج التقارب الألماني العثماني

حقق التقارب الألماني مكاسب عديدة للطرفين نذكر منها:

أولا: بالنسبة لألمانيا

1-استغلت الدبلوماسية الألمانية تناقضات الباب العالي مع الدول الأوربية الأخرى بمهارة حيث أشار الدبلوماسيون الألمان إلى معاداة هذه الدول للدولة العثمانية جراء استيلاء بريطانيا على مصر و قبرص واستيلاء فرنسا على تونس و الجزائر وقيام روسيا بضم قارص وتحرير البلقان في حين أكدت ألمانيا أنها الدولة الوحيدة التي ليس لها مصلحة خاصة في الدولة العثمانية و اغتصاب أراضيها و بفضل هذه السياسة كسبت ألمانيا صداقة الدولة العثمانية و ظهر ذلك من خلال زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني إلى الدولة العثمانية[1] وقد صرح الأخير في مذكراته بأنه كان هناك ضباط وعساكر من بروسيا يقاتلون في صفوف روسيا خلال الحرب الروسية العثمانية (1877-1878م) لكن موقفه تغير بعد زيارته الأولى إلى الأستانة عام 1889م[2].

2- حققت ألمانيا من خلال توجهها نحو الشرق بعض المصالح في سوريا و فلسطين كتعمير الكنائس و دور الأيتـــام و المستشفيات وبناء مستعمرتين زراعيتيـــن في حيفا ويافا و المطالبة بحماية رعاياها من الكاثوليك كل ذلك من أجل مواجهة مطالب الدول الأخرى وضمان تنازلاتهم للألمان في آسيا الصغرى.[3]

3- تغلغل الرأسمال الألماني في الأقطار العربية و أنحاء الدولة العثمانية حيث فَتَحَ البنك الألماني الشرقي والبنك الألماني الفلسطيني للعديد من الفروع في سوريا و فلسطين. ولابد من

[1] فلاديمير لوتسكي، مرجع سابق، ص 356 .

[2]غليوم الثاني ، مصدر سابق ، ص11.

[3] نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، تع:أحمد بوملحم، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ص 143.

الإشارة إلى أن سكة حديد بغداد تمر بجوار نينوى التي توجد فيها منابع النفط وجبال طوروس الغنية بالنحاس و المعادن الأخرى والتي يتم استغلالها من طرف الألمان.[1]

4-كسب الألمان من خلال مشروع سكة حديد بغداد العديد من الفوائد الاقتصادية و المالية عن طريق استثمار رؤوس أموالهم في إنشاء السكة وتجهيزها بالأدوات و المعدات بالإضافة إلى حصولهم على امتياز بناء ميناء نهري في بغداد و التنقيب عن البترول في الموصل عام 1904م. وفي الجانب السياسي عملت ألمانيا على تحجيم النفوذ البريطاني في العراق و الخليج العربي.

5-سيطرة ألمانيا على آسيا الصغرى واستغلال الثروات الباطنية كالفحم و الرصاص و النفط و إقامة مشاريع زراعية لتأمين المواد الخام اللازمة للصناعة الألمانية وضمان توفير المواد الغذائية كالقمح و الحبوب[2].

6- إن التغلغل الألماني في الدولة العثمانية لم يقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب بل تعداه إلى الجانب السياسي و العسكري حيث استطاعت ألمانيا تحقيق نتائج واضحة فيه من خلال البعثة العسكرية الألمانية برئاسة ليمان فون ساندرس المُرْسَلة عام 1913م لتتولى تدريب الجيش العثماني والتي لعبت دور كبير أَسْفَر عن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا[3].

---

[1] فلاديمير لوتسكي، مرجع سابق، ص359.
[2] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام ، مرجع سابق، ص71.
[3] هاشم صالح التكريتي، مرجع سابق، ص47-48.

ثانيا بالنسبة للدولة العثمانية:

1-يعتبر التقارب بين ألمانيا والدولة العثمانية عبارة عن سياسة شخصية اتخذها السلطان عبد الحميد الثاني لتكون سندا له في أوربا بعد ثبوت عداء بريطانيا له و لدولته الأمر الذي استغلته ألمانيا من أجل منافسة بريطانيا في الدولة العثمانية حتى أصبح الألمان هم أصحاب الكلمة العليا في الأستانة والنتيجة انضمام العثمانيين إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى[1].

2- كان هذا التقارب فرصة سانحة للدولة العثمانية لاستعادة نشاطها و قوتها بعد أن كادت تنهار بفضل الهزائم و الأزمات الاقتصادية خاصة في ظل تربص أعدائها من الدول الأوربية ففي البداية يُصور السلطان عبد الحميد الثاني طبيعة علاقته بألمانيا أنها تكمن في جعلها كحليف ضد أعدائه،[2] فقد عارضت ألمانيا التطلعات الصهيونية باستعمار فلسطين وعملت على الحد من انتشار اليهود فيها.[3]

3- كانت ألمانيا تتجنب باستمرار أي عمل قد يحرج السلطان عبد الحميد الثاني، فامتنعت عن القيام بالمظاهرات البحرية التي كانت تقوم بها بعض الدول الأوربية لممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية. فقال عنهم:"أن الألمان يفعلون أقصى ما يمكن عمله من الخير،بينما تقوم أوربا بإيذائي بأقصى ما تستطيع"[4]

4- ولعل أهم مكسب حصلت عليه الدولة العثمانية هو انتصار الجيش العثماني المزود بالسلاح الألماني في حرب اليونان 1897م ف كان هذا الانتصار سببا في تغيير الفكرة التي شاعت في بأوربا بخصوص تقسيم الدولة العثمانية.[5] في المقابل نجد أن ألمانيا اتخذت من الدولة العثمانية نقطة ارتكاز لتوسعها اللاحق في الشرق،وترسيخ النفوذ الألماني الاقتصادي و السياسي فيها[6] .

---

[1] شكيب أرسلان، البيان عما شَهِدت بالعيان وعما شاهدت من الأعيان من إعلان الدستور العثماني حتى الآن، ط1، الدار التقدمية ، بيروت ،2008 ، ص13.

[2] سليمان قوجة باش، مرجع سابق، ص305.

[3] نجيب عازوري، مرجع سابق، ص142.

[4] حسان حلاق، مرجع سابق، ص 156

[5] سليمان جوقه باش، مرجع سابق، ص 396.

[6] عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام، مرجع سابق، ص72.

الخــــاتــمــة

الخـاتـمـة:

إن موضوع العلاقات الألمانية العثمانية من المواضيع التاريخية التي تحتاج إلى دراسة عميقة و بحث طويل حيث حاولنا خلال تطرقنا و بحثنا في هذا الموضوع الخروج بجملة من الاستنتاجات التي تُبين طبيعة تلك العلاقات و الغايات التي حققها كل طرف منها و المتمثلة في:

- إن إقدام الدولة العثمانية على نسج علاقات مع ألمانيا التي ظهرت على مسرح الأحداث الدولية كقوة سياسية و اقتصادية كبيرة بعد الدور الذي لعبه بسمارك في توفير الظروف المناسبة لتكوين و قيام الإمبراطورية الألمانية عام 1871م، يعتبر مسألة اضطرارية بالنسبة للدولة العثمانية لكي توازن بها بقية علاقاتها مع الدول الأخرى خاصة في ظل التنافس الاستعماري الموجه ضد تلك الدولة والذي أخذ أشكالا مختلفة فتارة أخذ صورة إعلان الحرب عليها وهذا ما حدث خلال الحرب الروسية العثمانية 1877م، وتارة أخرى اتخذ شكل مؤتمر دولي الذي عُقِد في برلين عام 1878م تقاسمت فيه القوى الأوربية الكبرى ممتلكات الدولة العثمانية التي وصلت إلى مرحلة متقدمة من الضعف الأمر الذي استغلته ألمانيا من أجل التقرب منها في الميدان السياسي و العسكري والاقتصادي وهو ما يُبين وجود مصلحة ثنائية متبادلة تكمن في رغبة ألمانيا في توطيد نفوذها في الدولة العثمانية بينما اتخذت الأخيرة منها حليفا لها ضد الدول الأوربية الطامعة في تفتيتها.
- كان الاندفاع نحو الشرق هدفا إستراتيجيا لألمانيا التي عملت على توثيق روابط الصداقة مع السلطان عبد الحميد الثاني ولتحقيق هذه الخطوة قام الإمبراطور الألماني غليوم الثاني بزيارتين للدولة العثمانية (1889م و1898م) والتي نتج عنهما الاتفاق بين الدولتين على تدريب الجيش العثماني و تزويده بالسلاح والعتاد الألماني دون أن ننسى الاتفاقيـة التـجـارية الـمبـرمـة عام 1890م التي فتحت أبواب الأسواق

التجارية داخل العاصمة العثمانية أمام الألمان بغية إقامة مشاريع إقتصادية صناعية وتجارية أدت إلى انتعاش الاقتصاد الألماني وارتفاع صادرته . وفضلا على ذلك منحت الدولة العثمانية على اثر تلك الزيارتين امتيازا لألمانيا بمد الخطوط الحديدية و المتمثلة في مشروع سكة حديد برلين بغداد و مشروع سكة الحديد الحجاز، فمن جهة حققت الدبلوماسية الألمانية تفوقا على باقي الدول الأوربية بكسبها للعثمانيين ومن جهة أخرى حققت أهدافها من خلال ضرب مصالح بريطانيا المنافس القوي لها في أوربا و في الممتلكات العثمانية باستعمال الطرق السلمية وهو ما لم تحققه الدول الأوربية الكبرى عن طريق الحروب في المقابل كسب العثمانيون دولة أوربية كبرى لمواجهة أطماع وسياسة الثالوث الأوربي (بريطانيا،فرنسا، روسيا) الساعي للقضاء عليهم.

- رغم الأهداف المعلنة للتقارب الألماني العثماني إلا أن ألمانيا لم تكن بالفعل تلك الصديقة الحقيقية كما اعتقد العثمانيون فقد كانت الأهداف الاستعمارية هي الأهداف الحقيقية من وراء توطيد هذه العلاقات و تقويتها باعتبار أن ألمانيا وصلت متأخرة إلى الساحة الدولية و أرادت الحصول على مكان لها بين الدول العظمى من الناحية السيادية و من الناحية الاستعمارية لذلك سعى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني على تمتين علاقاته مع العثمانيين و الظهور بصورة الصديق المسعف للدولة العثمانية و إنقاذها من السقوط، ويظهر ذلك جليا من خلال تكلمه بلغة واضحة بأنه حليف الدولة العثمانية والمسلمين مقدما دعما سياسيا للدولة بغية استخدام الأخيرة و نفوذها لتحقيق غاياته عن طريق سياسة التغلغل السلمي ،هذا بالنسبة لألمانيا أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد كانت تعيش أسوء أيامها و لم يكن أمامها سوى القبول بأي يد تمد لها المساعدة غير أنه في كثير من الأحيان استطاع السلطان عبد الحميد الثاني أن يكشف النوايا الحقيقية للألمـان من وراء إقامتـهم علاقات مع دولته الشبه منهارة،

وقد حاول في كثير من المواقف أن يظهر للألمان فهمه لهذه النوايا و الوقوف في وجه أطماعهم التوسعية في بلاده.

- أما إذا حاولنا أن نبين من هو المستفيد الأكبر من الطرفين (الألماني- العثماني) في إقامة هذه العلاقات نستنتج أن الألمان استطاعوا أن يكونوا هم الطرف الأقوى و الأكثر استفادة من هذه العلاقات في جميع النواحي وخاصة السياسية و العسكرية و الاقتصادية في حين، كانت نتائجها وخيمة على الدولة العثمانية حيث تمكن الألمان بفضل وضع برنامج من أجل تقوية الجيش العثماني عن طريق مستشارين وخبراء عسكريين ألمان في جر العثمانيين و أخذهم إلى حرب عالمية انتهت بتقسيم أملاك الدولة العثمانية .

القائمة البيبليوغرافية

قائمة البيبلوغرافيا:

المصادر:

- أرسلان شكيب ، البيان عما شَهِدت بالعيان وعما شاهدت من الأعيان من إعلان الدستور العثماني حتى الآن، ط1، الدار التقدمية ، بيروت ،2008 .
- أزوتونا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية، تر:عدنان محمود سلمان، مر:محمود الأنصاري، مج2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1990.
- أزوتونا يلماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي و العسكري و الحضاري(629-1341هـ/1231-1922م)، تر:عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.
- السلطان عبد الحميد الثاني،مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، تر:محمد حرب، ط3، دار القلم للطباعة والنشر و التوزيع ،1991.
- انطونيوس جورج ، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية ، تر: ناصر الدين الأسدي و إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت ،1987.
- أوغلي عائشة عثمان ، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح ، ط1، دار البشير، عمان، 1991.
- باشا إبراهيم رفعت ،مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج و مشاعره الدينية،ج2،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة ،1925.
- باشا جمال ، مذكرات جمال باشا، إع: محمد السعيدي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2013.
- بيضون جميل ، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، بيروت، 1992م.
- الحصري أبو خلدون ساطع ، البلاد العربية و الدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، [د:ت].
- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية (1891-1908)، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.
- الشناوي عبد العزيز محمد ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج3،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.

- غليوم الثاني، مذكرات غليوم الثاني ، تر:أسعد داغر؛ محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1920.
- كرد محمد علي ،خطط الشام،ج5 ،المجمع العلمي العربي، دمشق،1927م.

المراجع:

- أ،ج،جرانت،هارولد تمبرلي، تاريخ أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرون(1789-1950)، تر:بهاء فهمي، مر:أحمد عزت عبد الكريم ، ط6، مؤسسة سجل العرب، دار المحامي للطباعة القاهرة، [د:ت]،ص4.
- أروخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته و أحداث عهده، ط4، [د:د]، اسطنبول.
- الأسود إبراهيم ، الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية
- أكمل الدين إحسان أوغلي،الدولة العمانية تاريخ و حضارة،ج1، تر:صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون و الثقافة الإسلامية،استانبول، 1999،
- باش سليمان جوقه ،السلطان عبد الحميد الثاني، شخصيته وسياسته، تر: عبد الله أحمد إبراهيم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.
- بحري لؤي ، سكة حديد بغداد، شركة الطبع و النشر الأهلية، بغداد، 1967م.
- برو توفيق علي ،العرب و الترك في العهد الدستوري العثماني1908-1914،معهد الدراسات العربية العالمية،القاهرة ، 1961م.
- الجمل شوقي عطا الله ، إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.
- حرب محمد ،السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار،ط1،دار القلم، دمشق، 1990.
- حسون علي ، العثمانيون والروس، ط1، [د:د]، بيروت ،1982.
- حلاق حسان ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1898-1909م)، دار الأحد، بيروت، 1978.
- راشد زينب عصمت ، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، [د.ت].

- رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية إلى الحرب الباردة ، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، [د:ت].
- سنو عبد الرؤوف ، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر و العشرين،الفرات للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، ط1، 2007.
- سيف الله آبا رجي،السلطان عب الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية، تر:عبير سليمان، ط1، دار النيل للطباعة و النشر،القاهرة،2011.
- الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة، 2001م.
- الصلابي علي محمد ،عبد الحميد الثاني و فكرة الجامعة الإسلامية و أسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، بيروت، 2012.
- صوان محمد شعبان ،السلطان والمنزل، الحياة الاقتصادية في آخر أيام الخلافة العثمانية و مقاومتها لتمدد الرأسمالية الغربية، ط1، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2013.
- طقوش محمد سهيل ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013.
- طه جاد ،ألمانيا إلى أين المصير؟، دار المعارف، القاهرة، [د:ت]
- طه مصطفى كمال ، القانون التجاري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1980
- عازوري نجيب ، يقظة الأمة العربية، تع:أحمد بوملحم، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت.
- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي1516-1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر و التوزيع،الإسكندرية، ،1992.
- عمر عبد العزيز عمر،تاريخ أوربا الحديث و المعاصر (1815–1919)، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 2000.
- عوض عبد العزيز محمد ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864م-1914م، دار المعارف، القاهرة، 1969.
- الغامدي سعيد بن سعد سفر ،موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني(الشام و مصر)1876م-1909م،ط1، مكتبة التوبة،الرياض ،1992.

- كامل مصطفى ، المسألة الشرقية، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ، 2012.
- الكيلاني جمال الدين فالح ، زياد حمد الصميدعي، تاريخ الدولة العثمانية رجال و مواقف، ط1، المنظمة المغربية للتربية و الثقافة و العلوم، فاس، 2013.
- لوتسكي، فلاديمير ، تاريخ الأقطار العربية، ط8، دار الفارابي، بيروت، 1985م،
- مانتران روبير ، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج2، ط1، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1993 .
- موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني و الخلافة الإسلامية، مؤسسة صخر الخليج للطباعة و النشر و التوزيع والإعلان، الكويت، 1984.
- النائب إحسان عبد الهادي سلمان ، المسالة الألمانية من وحدتها إلى إعادة توحيدها، [د:د]، 2013.
- الهنداوي سهام ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية وثائق سرية (1876-1909م)، ط1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق ،2015.
- هولاكو متين ،الخط الحديدي الحجازي المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثاني،تر:محمد صواش،ط1،دار النيل ،القاهرة،مصر،2011.
- ياغي إسماعيل أحمد ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض ، 1998.

الدوريات:

- إبراهيم ليث محمد ؛ ألضيفي ميثاق بيات عبد ،" السياستان الأمريكية و الألمانية تجاه الدولة العثمانية في القرن 19م وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى" **مجلة جامعة تكريت للعلوم** (تكريت)، ع6 ، مج19،[د:د]، 2012.
- التكريتي هاشم صالح ،" التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"،**مجلة المؤرخ العربي**،(بغداد)ع27،[د:د]،[د:ت].
- الدليمي خالد نمال ، " بسمارك ودوره في رسم السياسة الخارجية الألمانية 1871–1890"، **مجلة كلية الآداب** (بغداد)، ع 98، 2015.

- سنو عبد الرؤوف ،" رحلة إمبراطور ألمانيا وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحافة العربية المعاصرة" ، **مجلة تاريخ العرب و العالم** (بيروت)، ع 18،[د:د] ، 1999 .
- عمر حسين يوسف حسين ، " سياسة بيسمارك تجاه الدولة العثمانية(1871-1890م) " ، **مجلة الدراسات في التاريخ والآثار**(غزة) ،ع 53، نوفمبر 2016.
- عمر يوسف حسين يوسف ، **"**موقف بريطانيا من سكة حديد برلين- بغداد**"، المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار** (عمان) ،ع4، مج2012،7**.**
- كولن صالح ،"سكة حديد الحجاز**"،مجلة حراء**(بغداد)،ع16،مركز التوزيع و النشر ، 2009.

الموسوعات و المعاجم:

- الكيالي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية، ج1- ج2، دار الهدى للنشر و التوزيع، بيروت، [د:ت].
- صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000**.**
- س.موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر:عصام محمد الشحادات،ط1،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت،لبنان،2002م
- عامر محمود ،المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية،[د:د] ، دمشق، 2012.

النـــــــــدوات:

- الحمداني طارق نافع ، العثمانيون والروس في الخليج العربي دراسة في العلاقات السياسية بينهما(1878-1907م)، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، من 19- 21 نوفمبر 1988، مركز الدراسات و الوثائق، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

الرسائل الجامعية:

- حسين محمد المحمد ،مستجدات المسألة الشرقية بعد مؤتمر برلين (1878م-1916م)، رسالة غير منشورة، أعدت لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، جامعة دمشق،سوريا،2010م.

الملحق رقم 01: السلطان عبد الحميد الثاني[1]

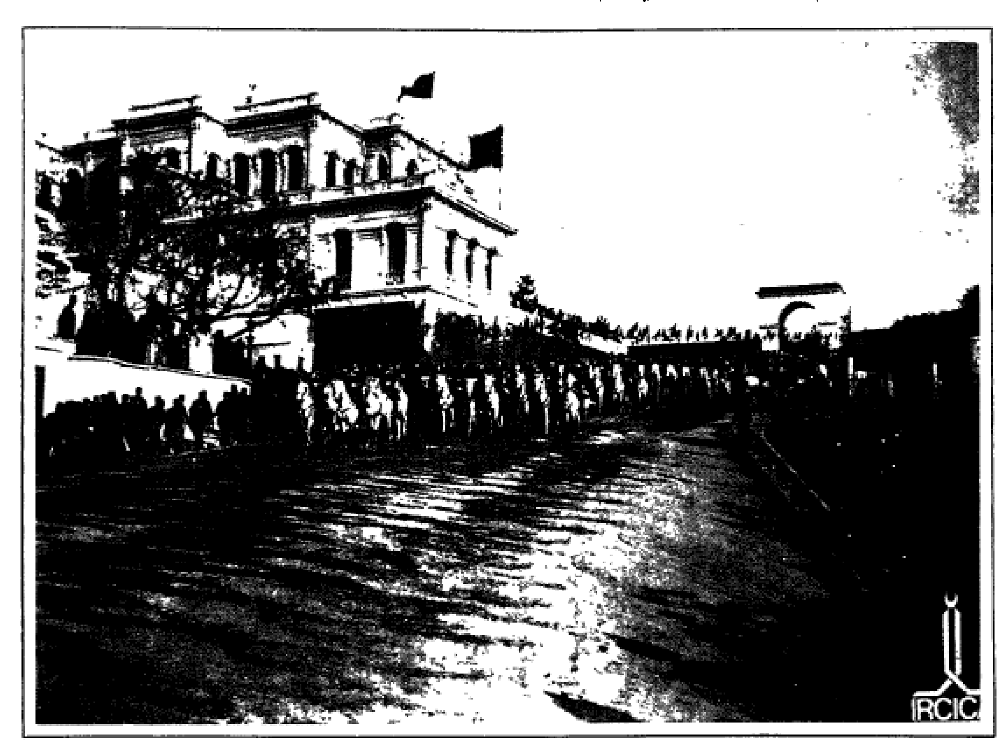


الملحق رقم 02: الإمبراطور الألماني غليوم الثاني[2]



[1] سيف الله آبارجي، مرجع سابق، ص 3
[2] غليوم الثاني، مصدر سابق، ص 3

الملحق رقم 03: الاحتفال الذي أقيم بمناسبة زيارة إمبراطور ألمانيا إلى الدولة العثمانية[1]

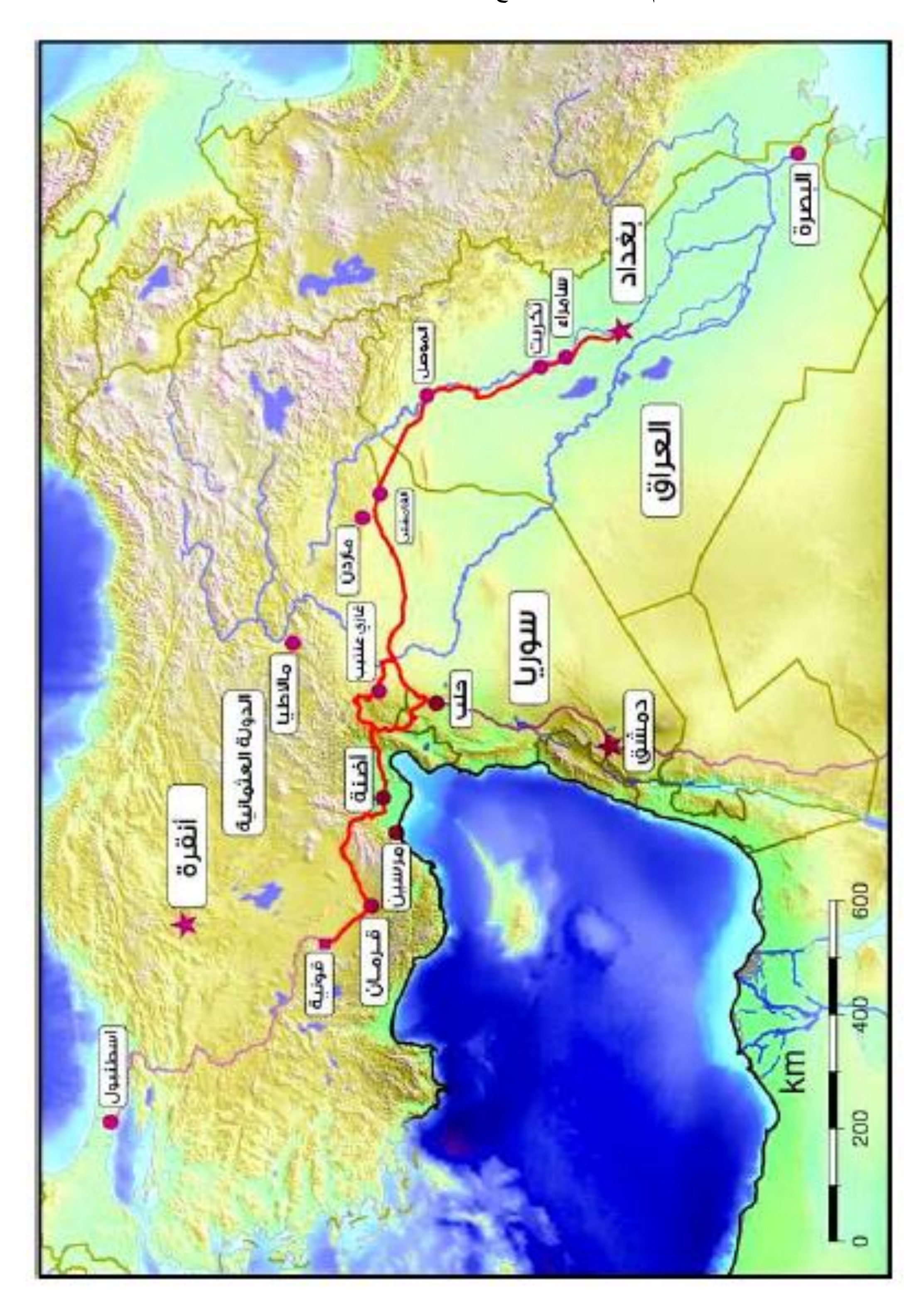


الملحق رقم 04: وصول البعثة العسكرية ليمان فون ساندرس إلى اسطنبول لتدريب الجيش العثماني[2]



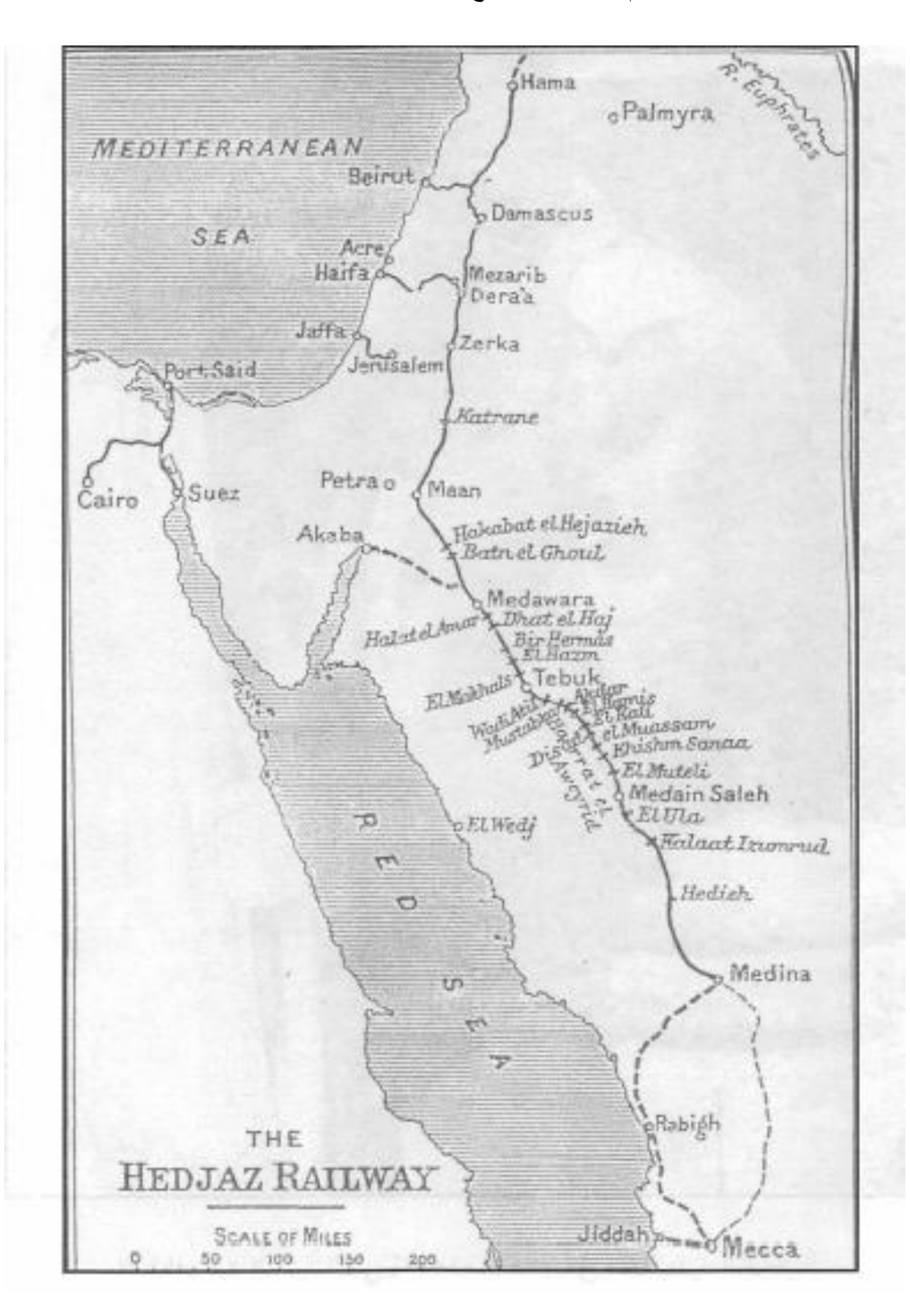
[1] عائشة أوغلي، مصدر سابق، ص 114
[2] جمال باشا، مصدر سابق، ص 149

الملحق رقم 05: خريطة توضح مسار سكة حديد برلين -بغداد[1]



[1] يوسف عمر حسين يوسف، "موقف بريطانيا من سكة حديد بغداد 1898-1914"، مرجع سابق، ص 202

الملحق رقم 06: خريطة توضح مسار سكة حديد الحجاز[1]



[1] متين هولاكو، مرجع سابق، ص 240

فهرس المحتويات